محمد بن أحمد العقيلي

محاضرات في
الجامعات والمؤتمرات السعودية

من مطبوعات النادي الأدبي بجازان

محمد احمد العقيلي

محاضرات في
الجامعات والمؤتمرات السعودية



من مطبوعات النادي الأدبي بجازان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد - فهذه محاضرات حاضرت بها فى مؤتمراتنا العلمية وجامعاتنا السعودية بدعوات حظيت بها ومشاركات أسهمت فيها ورأيت من الخير جمع تلك المحاضرات فى كتاب يكون فى متناول القارىء الكريم - فغالبا ما تكون مثل تلك المحاضرات والبحوث لا يتاح لها النشر والذيوع .

واذا طبعت فى نهاية تلك المؤتمرات فتوزع مطبوعاتها على المشتركين وذوى الاختصاص .

وها أنا أقدمها للقارىء الكريم ولمكتبتنا العربية السعودية فنحن فى نهضتنا الصاعدة وفى عهد جلالة الملك خالد بن عبد العزيز وولى عهده الأمين أصبح للعلم تقديره وللمعرفة وزنها فعسى أن يكون فى مجهودى المتواضع وإسهامى الضئيل بعض إثراء لمكتبتنا ومشاركة فى المعرفة والله من وراء القصد .

جازان

محمد بن أحمد العقيلى

الدولة السعودية الأولى
فى جنوب غـــرب الجزيرة

المحاضرة التى القيت فى قاعة المحاضرات
بجامعة الرياض فى ٢٥ / ٣ / ١٣٩٣

الدولة السعودية الأولى
فى جنوب غـــرب الجزيرة[1]

سيدى الرئيس ـ سادتى الأفاضل :

نحن فى عام **١٢١٣ هـ ١٧٩٨** م ، وأمير المخلاف السليمانى(منطقة جازان) ـ حاليا ، هو الأمير (على بن حيدر الخيراتى) والحالة قد بلغت النهاية من الفوضى واضطراب الأمن ، وتفشى الجهالة والبدع ـ كما هى الحالة فى أكثر أنحاء جزيرتنا العربيـة والأسرة الحاكمة (الخيراتية) ، قد انهكتها الاختلافات العائلية والمنازعات الشخصية ، على الامارة ، ففى خلال ثمانية وعشرين عاما ، تداول مركز الامارة ستة من أفرادها اثنى عشرة مرة أى بمعدل سنتين وثلث فى المرة الواحدة ، والمنطقة موزعة الى شبه اقطاعيات بين بقية الاخوة الذين لم يرتقوا مركز الامارة ، ونجد أحسنهم قسما ناصر بن محمد الذى منحها فى سنة **١١٨٩** فى عهد امارة عمه القصيرة الأمد ، اذ لم تطل مدتها أكثر من سنة ، والآن قد أشرف على أعتاب الشيخوخة فتنحى عنها لابنه الشاب منصور بن ناصر .

فى تلك السنة عاد من الدرعية أحد أبناء المنطقة الداعية أحمد بن حسين الفلقى الذى هاجر اليها لتلقى مبادىء التوحيد من منبع الدعوة السلفية ، عاد يحمل الرسالة التاريخية الآتية :

---

(١) المحاضرة التى ألقيت فى قاعة المحاضرات بجامعة الرياض فى ١٣٩٣/٣/٢٥هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن محمد بن سعود الى من يراه من أهل المخلاف السلياني ، وكافة أهل تهامة ، وفقنا الله واياهم الى الحق والهداية ، وجنبنا واياهم طريق الشرك والغواية .

أما بعد ، فالموجب لهذه الرسالة أن أحمد بن حسين الفلقى قدم الينا فرأى ما نحن عليه وتحقق صحة ذلك لديه ، فبعد التمس منا أن نكتب لكم ما يزول به الاشتباه ، فاعلموا - رحمكم الله - أن الله تعالى أرسل محمدا عليه الصلاة والسلام ، على فترة من الرسل فهدى به الى الدين الكامل ، والشرع التام ، وأعظم ذلك وأكبره وزبدته ، اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له .

وذلك الذى خلق الله الخلق لأجله ، ودل الكتاب على فضله ، كما قال تعالى : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ، وقال تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) واخلاص الدين هو اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وذلك بأن لا يدعى الا الله ولا يستغاث الا به ، ولا يتوكل فى جميع الأمور الا عليه ، وان كل ما هنالك لله تعالى لا يصلح شىء منه لملك مقرب ولا لنبى مرسل ولا شىء غيرهما وهذا هو بعينه توحيد الالوهية الذى أسس الاسلام عليه ، وانفرد به المسلم عن الكافر ، وهو معنى شهادة أن لا اله الا الله .

ولما من الله علينا بمعرفة ذلك ، وعلمنا أنه دين الاسلام اتبعناه ودعونا الناس اليه ، والا فنحن قبل ذلك كنا على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله ، من عبادة القبور والاستعانة بهم والتقرب بالذبح لهم ، وطلب الحاجات منهم ، مع ما ينضم الى ذلك من فعل الفواحش وارتكاب المحرمات ، وترك الصلاة وترك شعائر الدين ، حتى أظهر الله الحق بعد خفائه على يد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب أحسن الله له المآب ، فأبرزلنا ما هو الحق والصواب من كتاب الله الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

فتبين لنا أن الذى نحن عليه - وهو دين غالب الناس اليوم - من الاعتقاد فى الصالحين وغيرهم ودعوتهم والتقرب اليهم بالذبح لهم والنذر لهم والاستغاثة بهم فى الشدائد ، وطلب الحاجات منهم أنه هو الشرك الأكبر الذى نهى الله عنه ، وتهدد بالوعيد الشديد عليه ، وأخبر فى كتابه أنه لا يغفر الا بالتوبة منه .

قال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) .

اذا عرفتم هذا فاعلموا رحمكم الله تعالى أن الدين الذى ندين به لله هو اخلاص العبادة لله وحده ونفى الشرك ، واقامة الصلاة جماعة وغير ذلك من أركان الاسلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا يخفى على ذوى البصائر والافهام والمتدينين من الأنام أن هذا هو الدين الذى جاءنا به الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) .. فمن قبل هذا فهو حظه فى الدنيا والآخرة ، ونعم الحظ دين الاسلام ، ومن أتى غيره واستكبر ، نحيناه عن ذلك وقاتلناه ، قال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) .

وقصدنا بهذه النصيحة لكم ، والقيام بواجب الدعوة ، قال تعالى (قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله وما أنا من المشركين) . وصلى الله على محمد وسلم تسليما .

أيها السادة الأفاضل :

وصل الفلقى وسلم الرسالة وانتظر النتيجة بدون جدوى ، بل لمس من الجفاء ما حفزه على الابتعاد ، وبعد اجالة الفكر رأى أن يقوم بواجب الدعوة الى الله بنفسه فسار الى جهة ساحل (الجعافرة) لأن أهله ـ آنذاك ـ بدو قليلو الاختلاط بغيرهم ، ولديهم قبر لشخص يسمى أبى سبعة فتنهم الشيطان بالاعتقاد فيه تقدم اليه الذبائح والنذور ، ويعتقدون فيه الضرر والنفع من دون الله تعالى .

فاستقر فى قرية من قراهم تسمى (الاثلة) وأخذ فى تعليمهم وارشادهم فأقبل الناس عليه وازداد التعلق به ، فكان يرسل الناجحين من طلابه مرشدين الى القرى التابعة لهم ، والقريبة منهم ومرت الأيام فاذا الدعوة منتشرة فى جميع قراهم بل وفى القرى القريبة منهم ـ كـ الجهالة والجارة .

فسار الى قبر أبى سبعة وسواه بالارض ، وتبرع القوم بهدم ما لديهم من المزارات ، وترك الشرك والبدع ، فعمرت المساجد بالعبادة فلا تسمع الا تلاوة القرآن ودروس التوحيد ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فتآلفت القلوب بعد النفرة ، واجتمعت الكلمة بعد الفرقة فأجمع

رأيهم على معاهدة الفلقى على العمل بكتاب الله وسنة رسوله والسمع والطاعة للامام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وخلع طاعة الأمير على بن حيدر .

رفع عاملهم صاحب صبيا منصور بن ناصر الى ابن عمه الأمير على بن حيدر بواقعهم فوصله الأمر بأن يرسل اليهم خراصا لثمرة الزراعة الحاصلة لديهم ، فان تركوا الخراص يقومون بواجبهم فذاك ، والا أقمنا الحجة عليهم بمنع الزكاة وقاتلناهم ، فبعث اليهم الخراص فأعادوهم اليه وقالوا لهم : ان زكاتنا ندفعها الى امامنا فى الدرعية بواسطة الفلقى .

فكتب عامل صبيا لأميره فوصله الأمر بالتأهب . جمع الأمير ما لديه من جنود (يام) المرتزقة ، وكتب لعمه حمود بن محمد المقيم فى اقطاعيته فى وادى تعشر للاشتراك فى الحملة بخيله ، وبوصوله اليه فى مدينة أبى عريش خرج الأمير الى غزو الجعافرة ، وداعيتهم الفلقى وخيم فى قرية الحجرين فى غربى وادى صبيا ، وهناك وافاه عامله على صبيا منصور بن ناصر مع شوكة أهل صبيا .

علم الفلقى بدنو الحملة فنادى بالنفير فى الجعافرة ومن دخلوا فى الدعوة معهم وحدد مركز التجمع فى قرية البطيح فلم يتخلف أحد عن داعيه .

كان من الأصوب أن يظلوا فى مركز تجمعهم الذى هو فى وسط منطقة الدعوة ، فان تقدمت عليهم الحملة فستجد نفسها محاطة بقبائل الجعافرة من كل جانب ، وانما حماسة العقيدة دفعتهم الى التقدم نحو معسكر الحملة .

وبطبيعة الحال لم يكن لدى الفلقى الاستعداد الكافى والقوة اللازمة لمهاجمة مثل تلك الحملة ، ولم يكن قد مرت على الفلقى التجربة والخبرة القتالية التى تعينه على ادارة المعركة بالفوز ، والحملة يقودها أمير المنطقة ويساعده عمه حمود وكبار رجال الأسرة ممن أتقنوا الفروسية وتمرسوا بالحروب ، وقد تقدموا الى المعركة بكل ما لديهم من قوة واستعداد نظرا لما يترتب على نجاحها من بقاء سلطتهم ونفوذهم العائلى ، ولعلمهم بما تشربته نفوس أهل الدعوة من قوة الايمان وصدق اليقين .

وصلت عيون الأمير تخبره بتقدم القوم على معسكره فاستعد للقاء وعبأ جيشه فجعل عمه حمودا وخيله فى الميمنة وعامل صبيا فى رعيل من الخيل فى الميسرة ، وتولى هو نفسه قيادة القلب .

لم يترسم الفلقى (التكتيك) المعروف فى حرب الاخوان كالبيان أو (الهجاد) أو (الصباح) من حروب المباغتة الناجحة ، بل تقدم فى وضح النهار بهجومه على القلب ، فثبت الأمير وهو يعلم أن الجناحين سيقومان بحركة الالتفاف المرسوم ، وفعلا تم ذلك وكانت الهزيمة على الفلقى وأهل الدعوة ، وأخذت خيل الأمير فى مطاردة المنهزمين بغية استئصالهم حتى أسدل الظلام ستوره فحال دون البقية الباقية التى نجت بعد كل جهد ومشقة مع قائدها الفلقى الى جهة أم الخشب وعاد الأمير الى أبى عريش .

انقضت سنة ١٢١٤ التى جرت فيها المعركة وبعدها وثب حمود أبى مسمار فى أول سنة ١٢١٥ هـ على ابن أخيه الأمير على بن حيدر ينازعه على مركز الامارة واستمر النزاع نحو ثمانية أشهر أرغم فى آخرها الأمير على التحصن فى قصره ، ثم التنازل عن الامارة لعمه حمود بن محمد .

كان فى ذلك النزاع والقتال بين الأمير وعمه الفرصة الذهبية التى أتاحت للفلقى استرداد أنفاسه المنبهرة فجمع فلوله واتخذ من بلدة ام الخشب مقرا للدعوة ، منتظرا وصول الامدادات التى طلبها من الدرعية .

فى أثناء هذه الأحداث عاد الى شمال المنطقة داعية آخر من أبنائها هو (عرار بن شار الشعبى) من قبيلة بنى شعبة ، وأخذ فى بث دعوة التوحيد بين قومه فأطاعه جماعة وخالفه آخرون ، فرفع الى الدرعية مستنصرا فوافتها رسالته مع وصول رسالة الفلقى فصدر الامر لحزام بن عامر العجمانى بالغزو الى الجنوب فقابله (عرار) وانضم اليه بمن معه وساروا الى المخالفين فارغموهم على الدخول فى السمع والطاعة ووالى حزام سيره الى منطقة الفلقى فالتقاه الفلقى وسار جنوبا الى قرية الحجرين فضرب خيامه هناك وكتب رسالة الى وجهاء أهل المخلاف السليمانى يدعوهم الى الطاعة والدخول فى الدعوة الى الله وحمل الرسالة الفلقى نفسه وسار بها الى صبيا التى اجتمع فيها اكثر وجهاء الجهة الشمالية فى المنطقة الذين أزعجهم وصول (حزام) فأقبلوا على صبيا للتفاهم مع عاملهم على ما ينبغى عمله حقنا للدماء ومصالحة حزام ، وصل الفلقى وهم مجتمعون لدى عامل صبيا فسلم الرسالة وبعد قراءتها أخذوا فى التداول وأخيرا استقر الرأى على بعث وفد من المجتمعين مع خطاب من عامل صبيا الى الأمير على بن حيدر فى أبى عريش ، وبوصول الوفد وجد أن الأمير محاصر فى قصره وعمه حمود فى شغل شاغل بتشديد الحصار والضغط عليه فاجتمع بكبار رجال

الأسرة الحاكمة المحايدين فتم رأيهم على الكتابة الى الأمير الأسبق يحيى بن محمد المقيم على اقطاعاته فى قرية البيض ، ليتدبر الأمر مع الوفد وعالم المخلاف السليماني الشيخ أحمد بن عبد الله الضمدى ، وما تم الاتفاق عليه أمضوه سار الوفد الى الأمير الأسبق فبعث للشيخ وساروا جميعا الى صبيا واجتمعوا مع الباقين وناصر بن محمد العامل الأب وابنه منصور وتم الاتفاق على تشكيل وفد منهم الى (حزام) للتفاوض والدخول فى الطاعة .

قابل الوفد حزاما والفلقى فى الحجرين وعاهد على السمع والطاعة وأنابهم حزام على جهاتهم على الوجه الآتى :

١ ـ يقوم الأمير يحيى بن محمد بالامارة العامة ونشر دعوة التوحيد فى ضمد والمنطقة الجنوبية .

٢ ـ يقوم عامل صبيا بنشر الدعوة فى جهته .

٣ ـ يقوم الفلقى بشؤون (بيش) والجعافرة .

٤ ـ يقوم علامة المنطقة الشيخ أحمد بن عبد الله بالافتاء والارشاد .

وانصرف الوفد كل الى جهته لانفاذ ما اتفق عليه ، وبعد انصرافهم اتصل بعلم حزام أن المتخاصمين فى أبى عريش غير راضين عن المعاهدة لا المحاصر ولا المحاصر فقام بمناورة ـ فى شبه غزوة خاطفة الى الجنوب من أبى عريش ولما لم تأت بالنتيجة المرجوة ـ اكتفى بما تم بموجب المعاهدة وانصرف عائدا الى نجد ، بعد انصراف (حزام) تم لحمود التغلب على ابن أخيه الأمير على بن حيدر ـ الذى تنازل له عن الامارة قسرا ـ فأخذ من ساعة توليه زمام الأمر فى العمل لاحباط مفعول معاهدة حزام فاستمال أهل وادى ضمد بالترغيب والترهيب ، حتى انصرفوا عن أخيه يحيى وعاهدوه هو ، وحال دون أى تصرف لأخيه وضايقه حتى اضطره الى الانزواء فى بيته فى قرية (البيض) . أغرى النجاح المؤقت الأمير حمودا فدفعه الى تطبيق الخطة فى نفس منطقة الفلقى فأخذ فى استمالة أهل قرية الملحا حتى انضموا اليه ، فشعر الفلقى بالخطر فكتب الى زميله عرار بن شار الداعية الثانى يدعوه الى الاتفاق على التآزر والتعاون وأن يكونا يدا واحدة ، فوصله الجواب بالموافقة فقوى ظهره ورغب أن يغزو أهل الملحا فاستنجدوا الأمير حمودا فبعث سرية بقيادة ابن أخيه يحيى بن على ، وكتب الفلقى الى عرار فوصله بنفسه مع قوته وخيم معه فى شمال قرية السلامة العليا أمام سرية حمود . علم عامل صبيا منصور بن ناصر فوصل وعسكر بين السريتين وسعى بالصلح على أن يرجع كل

منها بسلام الى جهته ، فرجعت سرية حمود ، أما عرار فانتظر انصرافها ودخل حصن السلامة العليا فى مظاهرة المنتصر ، ووافاه فيه منصور بن ناصر وبعد المفاهمة تعاهدا على التعاون والتآزر ضد حمود والاجتهاد فى نشر دعوة التوحيد ، وعاد منصور الى صبيا معلنا تجديد طاعته للامام عبد العزيز وقام بالاجراءات الآتية :

١ ـ محاربة البدع وتشكيل جماعة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
٢ ـ أمر جنوده وأتباعه بلباس زى أهل الدعوة السلفية .
٣ ـ أمر بعدم تعاطى التبغ وتأديب من يتعاطاه .

لم يهن على الأمير حمود أبى مسمار الهزيمة المعنوية التى منيت بها سريته على يد عرار ومنصور فخرج من أبى عريش فى ١٦ ذى الحجة سنة ١٢١٦ هـ يقود سرية قوامها خمسمائة مقاتل وسبعين فارسا لقتال عرار وفى طريقة بعث شخصين من كبار أسرته ينصحان ابن أخيه عامل صبيا منصور بن ناصر بالوقوف على الحياد بينه وبين عرار فعمل بالنصيحة وظل متربصا على حذر .

. وبين قريتى (السلامتين) التحم القتال بينه وبين عرار فهزم الأخير وانسحب عائدا الى بلدته درب بنى شعبة فدخل حمود قرية (السلامة العليا) ورتب حامية فى حصنها وقفل راجعا الى أن خيم فى قرية (الباحر) على بعد خمسة أكيال من صبيا وأعلن أنه سيهاجم صبيا فاستعد منصور للمقاومة فتوسط اخوانه وانتهى الأمر بأن يصل منصور الى عمه كترضية أدبية فوصل ولم يزد الأمر على المقابلة وانصرف حمود الى أبى عريش ومنصور الى صبيا .

رفع (منصور) كما رفع عرار والفلقى الى الدرعية باستفحال أمر حمود طالبين النجدة لخضد شوكته وتصفية الحساب معه ، فأقبلت اليهم سرايا الغزاة المؤلفة من :

١ ـ حزام بن عامر العجمانى ومجاهدى العجمان .
٢ ـ زبران القحطانى ومجاهدى قحطان .
٣ ـ سلطان بن ربيع الدوسرى ومجاهدى الدوسر .

وبوصولهم الى بلدة الدرب انضم اليهم عرار بمجاهديه كما انضم اليهم الفلقى فى بيش ومنصور بمجاهدى أهل صبيا وخيم الجميع فى قرية الحجرين وأجمع رأيهم على غزو أهل بلدة (ضمد) الذين نقضوا عهدهم السابق لحزام بن عامر فبعث حمود بقوة لضمد لحمايتها بقيادة حسن بن خالد فسار الغزو اليها ودار القتال فى ظاهر البلدة وانتهى بدخولها عنوة . وعقد قادة

الغزو حلفا دفاعيا بين منصور والفلقى وعرار ليكونوا جبهة موحدة ضد الأمير أبى مسمار ومن ثم عادوا الى أوطانهم .

ظلت المناوشات متبادلة بين جبهة الحلف الثلاثى والأمير حمود بقية سنة ١٢١٦ هـ وقسما من عام ١٢١٧ هـ وحمود يوالى الرسائل الى امام صنعاء يستمده الرجال والمال ، والحلف الثلاثى يرفع بدوره الى الدرعية بتعدياته ، وما يبلغهم من استنجاده بامام صنعاء وما يخشونه من وصول الامدادات .

فى تلك الأثناء توجه محمد بن عامر أبو نقطة المتحمى الذى قد أصبح أميرا للامام عبد العزيز على بلاد عسير ، توجه بطلب الى ـ الدرعية ـ وصدر الأمر اليه بقتال حمود وصدرت الأوامر لرؤساء الدوسر وقحطان وشهران وأهل بيشة وغيرهم بالجهاد معه ، وفى أثناء الطريق أصيب بمرض الجدرى وتوفاه الله فصدر الأمر بأن يتولى مركزه أخوه عبد الوهاب بن عامر أبو نقطة ، ووصلت الأوامر للفلقى ومنصور وعرار لاستنفار أهل طاعتهم للجهاد بقيادة عبد الوهاب فاستعدوا وفى شهر رمضان ١٢١٧ هـ نزل عبد الوهاب من طور السراة يقود عشرين ألفا وانضم اليهم من جماعة عرار والفلقى زهاء خمسة آلاف وفى يوم ١٢ رمضان سنة ١٢١٧ هـ وصل الى ظاهر مدينة أبى عريش وأقام معسكره حولها فى شبه هلال ـ على مسافة نحو ميلين ـ تمتد من الحرة الشرقية الجنوبية الى ما وراء حى الديرة فى الغرب الجنوبى .

لقد حصن الأمير حمود المدينة تحصينا قويا فشحن حصونها المنيعة بالمقاتلة وأقام خطا دفاعيا خارجها ، كما حصن (حى الديرة) حى الأمير وأسرته ـ وجعل فرقة من الفرسان لحمايتها وفرقة أخرى تتنقل بين خطوط الدفاع تولى هو قيادتها .

وفى يوم الخميس الموافق ١٤ رمضان بعث عبد الوهاب خطابا يحمل الانذار النهائى للتسليم والدخول فى الطاعة أو القتال ، فقال حمود لرسوله : أخبر صاحبك ليس لدى جواب الا ما تراه من الاستعداد .

وقبيل فجر يوم الجمعة الموافق ١٥ رمضان دوت أصوات المؤذنين فى ذلك المعسكر المترامى الأطراف ، وصلوا صلاة الفجر جماعات ، وتقدموا نحو خطوط دفاع المدينة تدوى أصواتهم بالتكبير وتردد شعار الهجوم : (يا مالك يوم الدين ، اياك نعبد ، وبك نستعين) .

وبعد قتال مرير لم يكن فيه أروع من أقدام المهاجمين الا استبسال المدافعين ، اكتسحت خطوط الدفاع وتقدموا على الحصون والقلاع فاستولوا عليها حصنا ، حصنا ، وبسقوط الحصون فى عصر ذلك اليوم انتهت المعركة .

وفى يوم ١٧ رمضان خرج حمود من داره الى معسكر عبد الوهاب معاهدا على السمع والطاعة ـ للامام عبد العزيز وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه فأنابه على حكم المنطقة على :

١ ـ أن يظل على حكم المنطقة مؤقتا حتى تصدر موافقة الامام عبد العزيز .

٢ ـ قتال من وراءه وقطع علاقته بغير الامام عبد العزيز .

٣ ـ أن تكون الأحكام بين الناس بمقتضى الدين الحنيف .

وبذلك أصبحت المنطقة جزءا من المملكة السعودية التى أضحت حدودها من حدود العراق وبادية الشام الى حدودنا الحالية فى وقتنا الحاضر تقريبا . وبذلك انتهت المرحلة الأولى من مراحل الدعوة والنضال لتوحيد الجزيرة العربية وفى يوم ٢٩ رمضان عاد عبد الوهاب الى عسير بعد أن ربط المنطقة اداريا بادارته .

ظل حمود فى قلق نفسى بالنسبة الى مركزه فى الامارة وهل يوافق الامام عبد العزيز على تأميره أم لا فأحب أن يعرف النتيجة مسبقا ـ فبعث برسالة الى الدرعية صحبة ابن أخية حسن بن بشير مؤكدا العهد والبيعة وان الله قد شرح صدره لدعوة التوحيد ملمحا برغبته فى الارتباط رأسا بالامام نفسه ، فورده الجواب بما طمأنه على مستقبلة فى الامارة ، وتأجيل النظر فى فك ارتباطه بعبد الوهاب الى وقت آخر . فشمر عند ذلك عن ساق الاجتهاد وبدأ فى فتح ما وراءه من تهامة .

الغزوة الأولى : ... بعث سرية قوامها ثلاثون فارسا الى تهامة اليمن بقيادة ابن أخية على بن حيدر ، وأمره بأن يعرض على من يمر بهم الدعوة الى الله ، والسمع والطاعة للامام عبد العزيز وقتال من وراءهم فمن أجاب أمر عليهم من يرتضون من رؤسائهم ومن تمنع استعان الله على قتاله .

فكانت طريقه على قبيلة ـ بنى مروان ـ وهى أكبر القبائل وأعتاها فاستجابت للدعوة مباشرة بدون قتال ، فأمر عليهم رئيسهم أحمد بن على معوز وأخذ منهم مجاهدين وتقدم صوب قبيلة بنى حسن ثم الى قبائل عبس فالى قبائل الواعظات ، وكل منهم يتلقاه بالسمع والطاعة ، للامام عبد العزيز فيأخذ منهم مجاهدين ويؤمر عليهم رؤساءهم ، ثم سار الى وادى مور فاستقبلوه بالسمع والطاعة ومن (مور) كتب الى عامل مدينة اللحية والى شيوخ قبائل (الزعلية) و (صليل) فورده الجواب من وجهاء مدينة اللحية بأن عاملهم قد فر وترك المدينة خالية وانهم سامعون مطيعون كما وصله مشايخ صليل والزعلية مبايعين على السمع والطاعة ، فكتب للآمير حمود بما تم من الفوز والنصر .

اندهش الأمير حمود لهذا الفوز والنصر السريع وسار من (أبى عريش) مبادرا الى مدينة اللحية فدخلها دخول الظافر ثم أمر باقامة جماعة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والصلاة جماعة فى أوقاتها وذلك فى آخر ذى الحجة سنة ١٢١٧ هـ وبعد أن عين لها عاملا ومأمورا للدرك سار الى قلعة وادى مور فأقبلت اليه مشائخ تهامة :

١ ـ شيوخ قبيلة (الجرابح) .
٢ ـ شيخ مشايخ قبيلة (صليل) المسمى الكلفود ، والذى لم يصل مع مشائخ قبيلته الذين عاهدوا قائده ـ سابقا ـ .
٣ ـ شيخ مشايخ قبيلة (القحرى) على حميدة صاحب بلدتى (باجل) و (بيت الفقيه) .
٤ ـ صاحب بلدة (المراوعة) .
٥ ـ مشايخ قبيلة (الرماه) .
٦ ـ مشائخ وادى سهام .

وعاهدوا على السمع والطاعة وقتال من وراءهم ، عند ذلك بعث سرية لأخذ مدينة (الحديدة) فوصلت اليها وخيمت على مورد الماء فخرج اليهم عامل الحديدة صالح بن يحيى العلفى بقواته فانهزمت السرية الى (الجبانة) .

عاد الأمير حمود الى أبى عريش ورفع الى الدرعية بما منحه الله من النصر والفوز ـ راجيا بعث السرايا والامدادات للاستيلاء على مدينة الحديدة وغيرها .

وفى شهر صفر سنة ١٢١٨ هـ أقبلت اليه سرايا المجاهدين تترى من نجد والدواسر وقحطان وعسير يغص بجحافلهم الفضاء ويضيق بجموعهم الثرى فقرت بهم عينه وامتلأ قلبه غبطة وحماسة .

جيـــاد تعجــز الأرســـان عنها وفرســـان تضيــــق بهــــا الديار

فسار بهم نحو مدينة (الحديدة) وضرب خيامَه على عطنها وبعث من معسكره خطابا الى عاملها يدعوه الى الدخول فى جماعة المسلمينَ والسمع والطاعة للامام عبد العزيز فعاد اليه الرسول بدون جواب .

وعلى أثر عودة رسوله خرجت فرقة من حامية المدينة لمهاجمة المعسكر فالتقتهم طلائع الخيل وانقضت عليهم كجوارح العقبان ، فولوا منهزمين الى داخل المدينة ، فتقدمت الطلائع لاقتحام التحصينات فصبت عليهم القلاع والحصون ستارا من نيران المدافع يتعذر اختراقه ، وأصيب حمود بشظية صغيرة فى صفحة عنقه فتراجع المهاجمون الى المعسكر ، وبعد مداولة الرأى ترجح لهم تأجيل أمر فتح المدينة الى وقت آخر ، وأن ـ يتقدم الجيش جنوبا الى بادية وادى زبيد فسار بهم الى تلك الجهات فاستولى على :

١ ـ بلدة غلافقة .

٢ ـ بلدة المجيليس .

٣ ـ بلدة التحيتا : (وهى البلدةُ التى وصلت اليها القوات السعودية بقيادة الملك فيصل أثناء الاختلاف بيننا وبين اليمن الشقيقة سنة ١٣٥١ هـ) .

بوادر الخلاف بين حمود وعبد الوهاب :

لم تمض شهران على استسلام حمود وارتباطه اداريا بعبد الوهاب حتى أخذ يفكر فى أمر انفصاله عنه وأن يكون مرتبطا بعاصمة الدولة مثل عبد الوهاب نفسه ، وأن يتلقى أوامره من الامام عبد العزيز مباشرة وقد ألمعنا قبله الى بعث أول رسول ومعه أول رسالة الى الدرعية ليعرف رأى الامام بالنسبة الى مستقبله الذى علقه عبد الوهاب بموافقة الامام عبد العزيز من الناحية الأولى ، أما من الناحية الثانية فلكى يجرى الاتصال المباشر ، يضاف الى ذلك تلميحه فى الرسالة الى رجائه فى فك ارتباطه من سلطة عبد الوهاب .

لاشك أن ذلك اتصل بعلم عبد الوهاب فشعر بالامتعاض اللاذع والنفور الحذر ازاء أمير قهره وانتصر عليه بالأمس القريب ، ثم من عليه بابقائه فى مركزه . فى حال كان فى وسعه

جعل أى واحد من اخوانه المتطلعين الى المركز والجاه ليحل محله أما حمود فيرى نفسه أرسخ قدما فى الامارة والمجد التليد من عبد الوهاب الذى لولا الله سبحانه وتعالى ثم النهضة الاصلاحية السعودية التى هو وليد انتصاراتها ، لم يكن برز اسمه ولا سطع ذكره ، وانه أصبح مثله يدين بالولاء والطاعة لآل سعود فليكن له فى بلاده بعد ذلك ما لعبد الوهاب فى بلاده نفسها .

من يومئذ بدأ الخلاف سرا فى مرونة ودهاء ، ورأى حمود أن خير ما يقطع به سوء القالة لخصمه فيه أن ينمى رصيده فى الطاعة بالنصح والاجتهاد وجهاد من وراءه والقيام بواجب الدين ..

وفى نفس عام ١٢١٨ هـ توفى الامام عبد العزيز غيلة ، ووصل الخبر الى المخلاف السليمانى متأخرا لبطء المواصلات فى ذلك العهد ، ومن الواجب أن يتقدم حمود بواجب التعزية وتجديد البيعة للامام الجديد فبعث وفدا وبعث معه أخماس الجهاد المتأخرة وكتب رسالة تتضمن التعزية والاخبار بما استجد من البلاد التى تملكها للامام مؤكدا بيعته ونصحه واخلاصه وملتمسا النظر فيما وعده به من الامام الراحل بشأن فصله من الارتباط بعبد الوهاب ، وليكون الرجاء أدعى للقبول ولان ابن أخيه عامل صبيا أقدم منه سابقة فى الطاعة وله أصدقاء فى العاصمة بعث الى أخيه ناصر والد منصور بحجة استشارته فيمن يختاره للوفادة وما يراه من الرأى حول موضوع طلبه الفصل عن عبد الوهاب ثم من طرف خفى لمح له بأنه ابنه أمير على منطقة صبيا وبيش فلو طلب مثل طلبه لما مانع الامام الجديد وقد يظفر بوعد فى المستقبل القريب يمكن تحقيقه ثم عليه واجب التعزية وتجديد البيعة مثله ، فوافقه وسار وفد حمود كما سار منصور على رأس وفد عن منطقته .

ونلاحظ هنا أن الفلقى قد اختفى اسمه ولم يرد له ذكر فى حوادث هذا التاريخ عام ١٢١٨ هـ مما يدل على أنه توفى بدون ريب . اذن لم يبق فى شمال المخلاف الا منصور بن ناصر أمير صبيا وبيش ، أو عرار بن شار أمير بنى شعبة وعتود وقنا والبحر والقحمة ، وهو كحمود ومنصور مرتبط بعبد الوهاب ، وقد تمكن حمود فى استمالة ابن أخيه منصور ووافقه فى طلب الانفصال وها هو متوجه الى الدرعية وطريق الوفد تأتى على قاعدة امارة عرار بن شار ، ويظهر أن حمودا أوعز له بأن يحبذ لعرار التوجه معه والمطالبة بالانفصال مثله ومثل منصور عن عبد الوهاب فأفادها بأنه سبق أن بعث وفدا وسكت .. واكتفى الوفد بما لمسوا أثره فى نفسه .

وبعودة الوفد ومقابلتهم لعرار ـ وقد تكللت مهمتهم بالنجاح ـ بعد موافقة الامام على انفصال منصور كذلك ما عدا الجهاد ، لمح على وجوه الوفد اشراقة النجاح ، وسأل وأجابوه : لو سمعت للمشورة لتخلصت ، وفهم هو وشعر بالغصة فازدرد ريقه ولا حظوا سهومه ، فقالوا الشيء ما فات ؟ والأمير حمود جل ما يتمناه أن تكون مستقلا عن عبد الوهاب مثل غيرك من أمراء بيشة والدواسر ومثله هو والكل تحت نظر الله ثم نظر سعود .

وكان لعبد الوهاب عيونه لدى عرار فوافوه بكل ما جرى ، وصادف وصول الأخبار مع وصول الأوامر بفصل حمود ومنصور عن ادارته ، فعرف أن حمود أحكم التصويب بالنسبة الى نفسه والتدبير بالنسبة الى منصور والآن يقوم باغراء عرار ، وشعر بأن عرارا مال مع الاغراء فتشدد هو في كل ما يتصل به وبقدر ما توترت العلاقات هنا تقاربت هناك ، وكأن حمودا يريد أن يشغل فكر عبد الوهاب بما يصرفه عنه أو يمتص نقمته عليه وقد حصل ذلك في شخص (عرار) .

وفي سنة ١٢١٩ هـ صدر الأمر لعبد الوهاب بغزو (جدة) فأمر بدوره منصورا وعرارا بالغزو معه فتباطأ عرار ثم بعث بالغزو مع أخيه الذى لم يدرك عبد الوهاب الا في الناس ويأخذ خيله وسلاحه أدبا له ثم أعاده عليهم برجاء أن يكون له حكمه فيه بعد القتال فنزل في السعدية وكان من انتصاره على أمير مكة الشريف غالب وغنيمته لأسلحته ومعداته ما هو معروف وبعد عودته الى عسير أخذ خيل وسلاح بنى شعبة الذى أعاده لهم بالرجاء وبطبيعة الحال لولا توتر الحالة بينه وبين (عرار) لكان كما قيل (في المعاذير مندوحة) فغضب عرار واستغل الحالة حمود ، فزادها وقودا ، فوصل عرار اليه في « أبى عريش » وعاهده على المعاونة والمؤازرة ضد عبد الوهاب ، وعاد عرار فاتصل بقبائل رجال ألمع وهم أيضا قد أغضبهم عبد الوهاب فاستمالهم للثورة معه ضده ركونا منه على ما وعده حمود من العون ، وكانت خطتها أن يثور عرار ضد عبد الوهاب ويرفع للامام سعود بتظلماته ، ويصمد أمام عبد الوهاب وقوته حتى يصل وفد من الأمام ، وينظر في الأمر وتكون النهاية كما تصورها فصله عن عبد الوهاب ، ويكون حمود وضع بذلك ـ في نظره ـ منطقة حياد بينه وبين عبد الوهاب .

بدأ العصيان في رجال ألمع فقضى عليه بسرعة ونزل الى بنى شعبة بعشرة آلاف مقاتل ففر عرار الى حمود فرحب به ، وتقدم عبد الوهاب الى قبائل الشقيق وعتود فأدبهم ، وهم بمهاجمة (حمود) الذى قد استعد لقتاله ، فوصلت لجنة من الدرعية قوامها ثلاثة أشخاص فسلمت

أمرا لعبد الوهاب يقضى بتسريح المقاتلين حالا وتوجهه الى الدرعية فنفّذ الأمر فى الحال ، وتوجهت اللجنة الى أبى عريش فسلمت حمودا أمرا يقضى بترحيل عرار الى الدرعية وتوجهه صحبته فاعتذر عن نهوضه بنفسه بما قد يترتب من خلل فى تهامة اليمن . واستعد بترحيل عرار فأى وازع دينى وسلطة روحية عليا وقوة أدبية تذعن لها الرقاب بمثل تلك السرعة والامتثال ؟ جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل يؤمر قائده وهو فى نشوة انتصاره بتسريح جنده فيحنو للحق هامته ، ويسرحه وهو لم يطو الرسالة بعد ، ثم تصل اللجنة الى (حمود) وهو فى عاصمته ومقر حكمه وقد حصنها بكل وسائل الدفاع المعروفة آنذاك ، ولديه ما لا يقل عن عدد جيش عبد الوهاب فينحنى ممتثلا طائعا وينفذ الأمر ويرحل عرار ويبعث فلذة كبده ووحيده ، ويعلن للوفد بأنه مستعد لكل ما يترتب عليه انها قوة الاسلام التى أعادت للتوحيد سلطانه على النفوس والتى امتثل لها خالد بن الوليد حين تسلم أمر عزله فى عنفوان المعركة .

وصل عبد الوهاب الى الدرعية كما وصل عرار وأحمد بن حمود وحسن بن خالد وتحاكموا عند الامام سعود وأبرز عبد الوهاب رسائل من حمود تثبت تدخله مع عرار وانتهت القضية ببقاء عرار فى الدرعية موسعا عليه فى المسكن والرزق ، وضم امارته الى منطقة عبد الوهاب ، وتقييد حمود بأوامر تضمن الاشراف على التصرفات التى ليست من حقه ومنها :

(أ) بعث موظفين للاشراف على الشؤون المالية .

(ب) أن لا يعقد صلحا ولا يعلن حربا الا بأمر الامام سعود أو ما فى معنى هذا .

(ج) عدم استخدام قبائل همدان الا بعد دخولهم فيما دخل فيه المسلمون وأن يجيبوا داعى الجهاد .

فقبل الوفد عن حمود جميع ذلك وعاد معه الموظفون والعمال .. ، وبوصولهم نفذ حمود كل ما أمر به وكتب للموظفين والعمال بمباشرتهم أعمالهم وفى أثناء ذلك وصل مشايخ بلدة « حجة » وجبالها مستجيبين للدعوة ، معلنين الدخول فى الطاعة فبعث معهم حمود أميرا ومرشدين .

كل ما جرى ولم يمض الا نحو السنة على تولى سعود الأمر والحق انه سعود الكبير كما لقبه التاريخ وفى تلك الفترة القصيرة بلغت الدولة الفتية أوج عنفوانها فعلاوة على شمول سلطانها للخليج العربى والحجاز ما عدا المدينتين المقدستين وهما حينئذ على وشك التسليم وحدود الدولة التى تمتد من بوادى العراق والشام الى ضواحى مدينة زبيد فى الجنوب كانت هناك تطلعات بحرية ـ لم تظفر بعناية المؤرخين تتجلى فى وصول أسطول سعودى الى ميناء

(عدن بقيادة قائد بحرى يسمى (الجوشمى) فى سنة ١٢١٩ هـ ـ ١٨٠٤ م بعد ابرام أول معاهدة بين سلطان لحج أحمد عبد الكريم الفضلى ، والسير هوم بوفهام وقد منحت بموجبها الحكومة البريطانية قطعة أرض فى غربى مدينة عدن والسماح للرعايا البريطانيين بحق دخول عدن ، وأن تكون ميناؤها مفتوحة أمام البضائع البريطانية وأن يكون لها مقيم بريطانى يرعى مصالحها . وهى التى مهدت السبيل لاستعمار عدن قبل احتلالها بـ ٣٧ سنة ، وانما يبدو ان السلطان لم يحسن الاستفادة والتصرف فبدلا من أن يتعاون مع قائد الاسطول تعاون مع الانكليز تعاونا غير مباشر برجائه من قائد الأسطول مغادرة الميناء .

ولقد أشرنا آنفا الى دخول (الحجاز) فى الطاعة ما عدا المدينتين ـ المقدستين ، ففى سنة ١٢٢٠ صدرت الأوامر الى عبد الوهاب وعثمان المضايفى وابن شكبان وغيرهم بالتقدم نحو (مكة المكرمة) : لأن (المدينة المنورة) قد استسلمت فى أول هذه السنة ، وبتقدم أولئك القادة اشتد الضيق على غالب بن مساعد أمير مكة فجنح للاستسلام الا انه عز عليه أن يكون عن طريق عثمان المضايفى خادمه بالامس فكتب الى عبد الوهاب بن عامر الذى هو معسكر فى الميقات : (أنه قد رات المباحثة فيما بينى وبين الشيخ عبد الرحمن بن نامى الموجود فى مخيم عثمان المضايفى ، ولكنى لا أريد أن يكون لعثمان مشاركة فى الأمر ، وانما اريد أن تكون بحضورك مع الشيخ عبد الرحمن ثم ترفعان لسعود وتم الاتفاق على دخوله فى الطاعة ، وحج عبد الوهاب وعثمان ، وبقية القادة ، واجتمع عبد الوهاب بغالب ، وكان مما دار البحث حوله موضوع اليمن ، فأظهر غالب رغبته فى تقديم عمل للعهد الجديد يزيد فى رصيد عبد الوهاب على رصيد عثمان وقال لعبد الوهاب : أن بينى وبين عامل الحديدة (صالح بن يحيى العلفى) صلة صداقة ومكاتبة وفى وسعى اقناعه بالانتماء الى الدعوة فسر عبد الوهاب وفعلا بعث غالب الى صالح رسالة مع وفد مؤلف من العلامة الشيخ زين العابدين جمل الليل عالم المدينة المنورة والعلامة الشيخ بدر الدين الكورانى .

وذكر له فى الرسالة بأنه قد دخل فى طاعة سعود بعد حرب استمرت خمس عشرة سنة لأنه رأى أن لا فائدة ترجى من وراء مقاومة عقيمة ، ثم عرض عليه الاتصال بعبد الوهاب الذى هو مستعد لا جابته الى كل ما يطلب من تعهد لبقائه فى امارة منطقته ، وأنه قد حمل وفده التفصيلات الوافية .

كان صالح فى موقف لا يحسد عليه مع امام صنعاء ووزيره فقد أساء به الظن وشك الوزير فى بعض تصرفاته المالية ، وطلبه للحضور الى صنعاء فوصلته رسالة سرية من صديق له فى مكتب الوزير ينصحه بعدم الوصول ، وأن الوزير عازم على مصادرته وسجنه ، ومن الناحية الأخرى فقد مضى عليه عامان وهو فى قتال مع القوات السعودية التى يقودها حمود ، فكتب لغالب ما يفهم منه الموافقة ، فاخبر غالب عبد الوهاب فأرسل عبد الوهاب رسالة سرية الى صالح يتعهد له أن أجاب أن ـ يظل أميرا على منطقتى (الحديدة) و (زبيد) خرج صالح من الحديدة الى بيت الفقيه بحجة اصلاح بعض الأمور ، ومنها كتب الى عبد الوهاب بالموافقة وطلب الامدادات لأخذ مدينة الحديدة ثم مدينة زبيد فوصله الجواب بأنه قد كتب لرجال الامام سعود فى مدينة اللحية بالتوجه اليه وأن القوات فى طريقها نحوه .

اعلان صالح بن يحيى الدخول فى الطاعة :

وصلت قوات سعودية الى صالح فى بيت الفقيه فأعلن انضمامه الى الامام سعود ، وبدلا من أن يقودها الى الحديدة سار بها الى زبيد ودخل المدينة عنوة وكان عاملها قد تحصن هو وخيرة جنوده فى القلعة وتمكن من مضايقة من فى المدينة ، فاضطر صالح الى الانسحاب الى قرية التحيتا[1] ثم أبقى فيها قوة وانسحب ببقية جيشه عائدا الى بيت الفقيه . وذلك فى سنة ١٢٢٠ .

كان حمود من أول سنة ١٢١٨ وهو فى قتال مع صالح تارة له وأخرى عليه ، وانما فى الغالب ـ كانت كفة حمود الراجحة ، وقد أشرنا الى تقدمه بالقوات السعودية الى التحيتا وانما فى المدة الأخيرة استطاع صالح أن يسترد بيت الفقيه بعض الجهات ، وقد دخل صالح ـ الآن ـ فى الطاعة فتبدل أمره بالنسبة الى حمود من عدو الى منافس ، وشعر بخطر هذا المنافس الذى يعتقد أن عبد الوهاب أوجده لمضايقته ، وها هى مدينة الحديدة عروس أحلامه قد أدخلها عبد الوهاب فى عهد صالح ، فكيف يوفق بين الطاعة ومصلحته الخاصة أو بلأصح مطامحة الشخصية ؟ لندع التفسير للأحداث التى ستغنى عن الاستنتاجات .

وصلت الامدادات لعامل زبيد فاضطرت القوة الصغيرة التى فى التحيتا الى الانسحاب الى بيت الفقيه واستعاد العامل ولاء أكثر أهل بادية زبيد الذين انضموا الى صالح ، فرفع الى

---

(١) وهى البلدة التى وصلت اليها القوات السعودية فى سنة ١٣٥١ هـ بقيادة الأمير فيصل .

عبد الوهاب يستمده وعبد الوهاب مشغول بغزو نجران فلم يتمكن فى ذلك الوقت من مدة بالقوات ، وعلم حمود بتحرج موقف صالح فيعث بجيش لحصار مدينة الحديدة فأثار بذلك استياء المراقبين السعوديين الذين عنده ، لعلمهم أنها داخلة فى عهد صالح فصارحوه باستنكارهم فقال لهم : المسلمون يد على من سواهم ، وصالح وأنا كلنا خدام لسعود : رفع صالح لعبد الوهاب بتقدم حمود على حصار الحديدة ، مذكرا اياه بأنه قد أدخلها فى عهده فأرسل عبد الوهاب ثلثمائة مقاتل على جناح السرعة بطريق البحر ليدخلها ولو بصورة خفية الى الحديدة ليعينوا أنصاره والموالين له فيها على احداث ثورة على خصومه من بعض رجال الحامية ، فعاكستهم الرياح واضطروا الى النزول فى ميناء اللحية ، فأبقاهم عاملها وكتب الى حمود فأمره بأن يهيء لهم الركائب التى تقلهم ويأمر الدليل بأن يجعل طريقهم على قواته المحاصرة لمدينة الحديدة ليعلموا أن مهمتهم فات أوانها وأمر قائده بأن يطلب منهم المشاركة فى حصار الحديدة لأن الجميع تحت الطاعة السعودية فاعتذر قائدها بأنه أرسل الى صالح فسهل طريقهم الى الدريهمى الذى به معسكر صالح .

وصلت الأخبار الى الأمير حمود بأن حملة قوية فى طريقها من (صنعاء) لنجدة المحصورين فى الحديدة فخرج لملاقاتها وخيم فى قرية القطيع وكتب للعمال السعودين بأن يستحثوا جميع غزو قحطان والدواسر وعسير بالوصول أليه فى القطيع فحضروا جميعهم ، ومكث ينظر ، وعيونه توافيه بأخبارهم أولا بأول ، ولما علم بدنوهم نهض لملاقاتهم ، والتحم معهم فى موضع يسمى المكيمنة ، عند ملتقى وادى سهام وجاحف وبعد قتال عنيف استسلم أكثر الحملة وغنمت جميع اسلحتهم وخيلهم ومعداتهم ، فبعث بخمسها الى الدرعية . وصلت الأخبار الى حامية الحديدة المحصورة بهزيمة حملة النجدة فتلاشى كل أمل لهم فى فك الحصار ، ففاوضوا حمودا فى الاستسلام فدخل فى موكب الظافر ، وأعلن فتحها باسم الامام سعود ، وأشار على الموظفين السعوديين باحصاء ما وجد فى بيت مال المدينة ومستودعاتها وأظهر شعار التوحيد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتنبيه بالصلاة فى اوقاتها الى غير ذلك .

لم يبق تحت يد صالح الا مدينة بيت الفقيه وبعض البادية وظل يعيش على امل وصول نجدة من عبد الوهاب يستولى بها على مدينة زبيد وينتظر ما تسفر عنه مكاتباته فى الشكوى من حمود وتعدياته ، وحمود قد استشرت مطامعه ، فهو يخطط للاستيلاء على مدينة زبيد ويتصل بأهل بيت الفقيه لاستمالتهم ، وانما فى دهاء وحذر ، ثم عزم على بعث سرية الى جهة زبيد

باسم اعانة صالح على أخذ المدينة علم صالح فرفع الى عبد الوهاب موضحا أن حمود لم يكتف بأخذ مدينة الحديدة فها هو يشفعه بالتادى لأخذ مدينة زبيد ، ثم جمع من لديه من الغزو ، وأضاف اليهم مجاهدى من بقى تحت طاعته وسار على جناح السرعة الى زبيد فخيم أمام سور المدينة فاذا قائد حمود معسكرا فى الناحية الأخرى ، فتغافل عنه وأثار الحرب على القلعة ، وهو لا يعلم أن الاتصالات قد تمت بين قائد حمود وبين العامل ووافق عليها حمود نفسه وتتلخص فيما يأتى :

١ ـ يتعهد له حمود بسلامة جميع امواله وممتلكاته .

٢ ـ أن يسهل خروجه سرا من القلعة ، ويهىء له الجمال التى تحمل أثقاله وأمواله ويضمن سلامته .

٣ ـ أن يظل نائبه فى القلعة مدة شهر كامل وبعد الشهر يسلمها .

ونتيجة لهذا الاتفاق السرى بعث حمود بنجدة لقائده ، وتعليمات جديدة تقضى بالتظاهر فى العزم على قتال صالح وجنده ، وفعلا عبأ القائد جيشه وصف صالح جنده وكاد القتال أن يبدأ فتوسط بعض المراقبين السعوديين بالصلح على أن يعود كل من قائد حمود وصالح الى جهته ، ما دام أن عامل امام صنعاء لا يزال فى زبيد وان يرفعا صالح وحمود للامام سعود وما ورد منه يكون لعمل بمقتضاه : كما رفع صالح بالواقع لعبد الوهاب ، على ذلك عاد صالح الى بيت الفقيه وانسحب قائد حمود الى بعض الجهات موريا كأنه عائد الى جهة الحديدة وظل يتربص انتظارا لانتهاء الاجل لتسلم القلعة والمدينة .

مكث صالح فى بيت الفقيه ينتظر نتيجة ما تسفر عنه رسائله الى عبد الوهاب وحمود فى قلق نفسى وخوف معنوى لتصرفاته ، وما سوف يلقيه عنه عبد الوهاب ويظهر أنه قد وطن النفس أن يرضى أو يتمنى أن تكون زبيد بدلا من الحديدة لصالح اذا كان ولابد من حل وسط .[1]

وصلت رسائل صالح الى عبد الوهاب بعد أن عاد من نجران وانتظر حلول الموسم سنة ١٢٢١ هـ ليجتمع بالأمام سعود ويشرح له وجهة نظره حول حمود ، وحج عبد الوهاب وأفضى بما يراه عن تصرفات حمود وشكاوى صالح ، (وأن حمود يتظاهر بالطاعة وليس هو منها فى قبيل ولا دبير وانه يرجو تقوية جانب صالح حفظا للتوازن فى تهامة اليمن ، ولم يكن عبد

الوهاب قد علم بسقوط الحديدة فى يد حمود ولا باستيلائه على.مدينة زبيد التى تسلمها قائده بعد الأجل المضروب بموجب الاتفاقية السرية وانتهى الاجتماع بأن يرسل عبد الوهاب طامى بن شعيب على رأس قوة كافية تعين صالحا على الاستيلاء على الحديدة ثم زبيد .

علم حمود بدنو حملة طامى بن شعيب ومهمتها ، وخشى أن يأمر باعادة الحديدة وزبيد الى صالح فظل فى المقعد المقيم ، وانما تصرف بروية فتوجه الى مدينة زبيد التى استلمها قائده قبل برهة يسيرة وأخذ العهد من مشائخها وعلمائها ووجهائها للأمام سعود ، وأعلن شعار دعوة التوحيد وأمر الموظفين السعوديين واحصاء مخلفات الحكومة السابقة وعمل فى ذلك ما عمله فى موجودات بيت مال الحديدة وانتظر على أحر من الجمر ما يأتيه على يد طامى .

وصول طامى :

وصل طامى الى قرية الدريهمى من منطقة صالح ، وكتب اليه راجيا تحديد الزمان والمكان للاجتماع للتفاهم فحدد مكان الاجتماع ووقته فى قرية (اللاوية) على مسافة فرسخين من بيت الفقيه وبعد الاجتماع عاد كل منهما الى مكانه وأفضى الى أصحابه بما يأتى :

١ ـ قال صالح أن طاميا جل ما يطلبه ويقصده هو تحصيل المال لا مناصرة الدين .

٢ ـ وقال طامى : كنت أظن صالحا أحد رجلين ، أما رجل صاحب دين فيصبر على البلوى والغرابيل حتى يصل الى طلبه وأما صاحب دنيا فيسمح للجنود بما عنده ، ولم يكن أحد الرجلين .

لقد أراد صالح بعد ذلك أن يظهر ضعف موارده لطامى فطلب منه قرضا ، فأجابه طامى : وصلنا بأمر الامام عونا لك وجندا بين يديك ، تكتبنا فى ديوان جهتك ، وتجرى لنا ما تجريه على غيرنا وها نحن عذرناك فى الرواتب وانما نطالبك بصرف الأرزاق حتى تستغنى عنا فلم يجد منه استجابة . فانتظر أياما ثم كتب لحمود يقول : (وصلنا بأمر الامام نجدة لصالح على أن نعينه على أخذ الحديدة وزبيد وحيث وصلنا وقد ملكتها فأنت أمير من أمراء الامام سعود لايحسن منا قتالك حتى نرفع اليه ، ويقع العمل منا ومنك بما يأمر به .

لقد كان يتوجس غير ذلك فاذا رسالة طامى تبدد مخاوفه ، وتمنحه شيئا كثيرا من الطمأنينة والأمن الروحى ، فتنفس الصعداء ، وأفرخ روعه واحتفى برسوليه محمد بن أحمد المتحمى ومحمد بن على الشعبى ثم كتب معهما الجواب الآتى ـ بعد التمهيد والمجاملة : (ما

أقدمنا على أخذ الحديدة وزبيد الا لما كانت عزيمة صالح ضعيفة ولا عنده جند ولا قوة ، فخشينا أن يقوى إمام صنعاء ويصعب بعد ذلك أخذهما . وهما الآن تحت تدبير الله ثم الامام سعود ، من يريد يوليه اياها فالنظر لله ثم له) . وذيل كتابة بالجملة الآتية ؛

(ما دعت اليه حاجتك من أمور الدنيا والأمتعة والمراكيب فانا باذلون كل ما تطلبون) . وأجزل الصلة لرسوليه .

بعث الجواب وهو لايكاد يصدق بما فى كتاب طامى ، وهل هو حقيقة أم استدراج ، ثم هل يأتيه من طامى جواب وماذا يكون فحواه وظل على أحر من الجمر ، ومضى ما يقارب الأسبوع واذا الجواب الأخير يصله ، فاذا مضمونه : يعرفه أنه عزم على العودة الى عسير ، وانما يرغب أن يتعهد بعدم قيامه بأى حركة أو تعدى على صالح أو البلاد الباقية تحت نظره حتى يأتى الأمر الأخير من سعود ، فسر حمود بهذه النهاية الحسنة ، وأجاب على كتاب طامى متعهدا بكل ماطلبه وختم جوابه بقوله بأنه مستعد بكل مايعينه على السفر من مؤن وأرزاق وانه هيأ سفينة تباريهم بحرا بالمتاع والهدايا .

وبوصول جواب حمود اليه اجتمع بصالح وطمأنه ورحل عائدا بعد أن أصلح بين صالح وبعض من يخشى منهم صالح الميل الى حمود .

بعد رحيل طامى توجه حمود الى مدينة زبيد ، وأخذ فى استمالة صالح الذى أصبح مهيض الجناح ، ثم استدعاه لمقابلته فى مدينة زبيد وانتهى الأمر بابقاء صالح عاملا على بيت الفقيه فقط وتفرغ بعد ذلك لارسال قوات الغزو الى جهات حيس وموزع والمخا وبوادى المخيا التى طلب عاملها المصالحة على مال يدفعه لمدة محدودة الأجل ، فان وصله مدد فذاك والا سلم المدينة ، وبعد رأى المستشارين واطلاعهم أبرم الاتفاقية وتسلم المال ورفع الى الدرعية بما منحه الله سبحانه من الاستيلاء على تلك الجهات ، فورده الجواب بالثناء على حسن طاعته .

وبذلك أصبحت حدوُد البلاد السعودية تصاقب باب المندب وذلك فى آخر سنة ١٢٢٢ هـ .

وفى أول سنة ١٢٢٣ هـ كتب أمير جبل كوكبان الذى لايبعد الا مسافة أربع ساعات عن صنعاء الى الأمير حمود برغبته فى الدخول فى دعوة التوحيد والسمع والطاعة لسعود بن عبد العزيز فرحب بطلبه ، وبعث اليه بقوة تحميه فيما لو أراد أمام صنعاء الاغارة عليه .

لقد كان تفاقم العداء الشخصى بين عبد الوهاب وحمود المعوق الفعال لتقدم مسيرة النهضة الاصلاحية والدعوة السلفية فى جنوب ـ الجزيرة بعد أن وصلت طلائعها الى جبل كوكبان فى المشرق الجنوبى والى باب المندب فى الجنوب الغربى ففى النصف الأخير من تلك السنة اشتد الخلاف بينهما وتطور الى عداء سافر ، وأخذ عبد الوهاب فى الكتابة الى (الدرعية) بما يتراءى له من تصرفات حمود ، وحمود بدوره يكتب بتدخلات عبد الوهاب فى شئون المنطقة العائدة الى امارته والحد من نشاطه فى نشر الدعوة الى غير ذلك ، وكانت السياسة السعودية ـ ولاتزال ـ سياسة اسلامية رفيعة ومن مناهجها حسن الظن بأهل الطاعة حتى يثبت مايريب ، فرأى الامام استدعاء حمود ثم احضار عبد الوهاب وتنقية الموقف بينهما ، فخامر الشك قلب حمود وأخذ فى التسويف مرة والاعتذار بمشاغل اليمن أخرى ، فكتب اليه : (عليك مقابلتنا فى الموسم) فبعث حمود بالخراج مع رسالة يلتمس ويرجو العذر عن القدوم فى تلك السنة ، فعاد اليه الجواب بضرورة المقابلة فى مكة المكرمة فى موسم الحج وعندما حان الحج بدلا من أن ينصاع لواجب الطاعة ويرحل بعث ابن أخيه يحيى بن حيدر معتذرا ومستطلعا الحالة فى نفس الوقت فحج وسلم على الامام فسأله عن عمه فأخذ فى الاعتذار له فقال له : (عليك ابلاغه بالحضور والا فهو العصيان) . فاتصل بعد ذلك بغالب بن مساعد (سرا) الذى هو على اتصال بالاتراك وبمحمد على ويعلم أن أمر السلطان قد صدر قبل هذا التاريخ بسنة الى محمد على بغزو الحجاز ، وأن ما أخره الا انشغاله بتصفية أمر المماليك ، ومن المعروف أن كل غزو يسبقه اتصالات وتمهيدات ، والعمل على فتح جبهة أو جبهات جانبية ، وغالب من عرف بالتقلب ، فنرى رسول حمود يعود بسرعة الى أبى عريش ويأخذ حمود فى الاستعداد وعلى أثر ذلك يصل الى اليمن مندوب مصرى اسمه يوسف القبطان ، ثم يتم الصلح بين امام صنعاء وحمود الذى يتنازل عن بعض مكاسب الدعوة فى كوكبان والمخا لقاء بعث الامام المذكور له بمرتزقة من همدان وغيرهم ثم يأخذ فى استمالة ابن أخيه منصور بن ناصر عامل صبيا فيغويه فينضم اليه ويتظاهر بالعصيان العلنى ، فيرفع عبد الوهاب للامام سعود ، وازاء ذلك العصيان السافر صدر الأمر الى عبد الوهاب بالتقدم لحرب حمود .

علم حمود بتحرك عبد الوهاب ، فاستدعى مرتزقة همدان ثم أمر بالنفير العام على أهل امارته وهو مقيم فى بلدة الزهرة يزجى الحشود الى مدينة أبى عريش وعندما علم بنزوله من طود السراة سارع الى أبى عريش وأمر وزيره حسن بن خالد بالتقدم بالجيش الى صبياء .

قوات الجانبين :

١ ـ يقدر ابن بشر قوات عبد الوهاب بخمسين ألف مقاتل .

٢ ـ ويقدرهم صاحب (نفح العود) بأنهم فوق عشرين ألف مقاتل .

٣ ـ يقدر صاحب نفح العود جيش حمود بسبعة آلاف مقاتل من المشاه وثلثمائة فارس .

٤ ـ يذكر ابن بشر أن حملة بحرية اشتركت فى المعركة بغارة على مؤخرة حمود ودخلت مدينة جازان وأعتقد أن تقدير ابن بشر مبالغ فيه ، كما أن تقدير صاحب (نفح العود) أقل من الحقيقة .

وفى أول شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢٤ هـ نزل عبد الوهاب من عقبة مناظر وتقدم حمود ببقية جيشه من أبى عريش الى مركز تجمعاته بصبيا ثم نهض منها وضرب معسكره بظاهر قرية أم الخشب مما يلى قرية السلامة العليا .

وأقبل عبد الوهاب فى تؤدة وأناة حتى خيم فى مسيل وادى بيش قبال جيش حمود على مسافة خمسة أكيال شرقا ، وظل كل منهما ينتظر هجوم الآخر ، فى تحسب وحساب لكل خطوة ، حتى علم حمود أن عبد الوهاب قد عزم على تدبير خطة للتقدم من معسكره بطريق الحزن الى صبيا ليقطع خط رجعته ، ولو تم ذلك لكانت خطة بارعة ، فأراد أن يشعره بيقظته لما يدبره فبعث رعيلا من الفرسان للاغارة على معسكره فنشب القتال بينه وبين فرسان عبد الوهاب ، فانهزمت خيل حمود والتجأت الى معسكرها وساد الهرج والمرج فى المعسكر وانما عرف حمود كيف يعيد الهدوء والنظام فى معسكره ثم أخذ طول ليله فى تدبير خطة هجوم انتحارى على معسكر عسير خاصة الذى يتوسطه مخيم عبد الوهاب .

وفى فجر يوم الاثنين الموافق ٢٩ جمادى الآخرة تقدم فى خيرة فرسانه ومشاته فى سرعة وتصميم صوب خيام عبد الوهاب ومعسكر عسير . ويقول ابن بشر : ان الهجوم وقع قبل استعداد عبد الوهاب للملاقاه وانه حصل قتال كاشتعال النار ، وثار الرهج وارتفع النقع حتى لم يعرف الرجل رفيقه القريب ، وتنبه المعسكر المترامى الأطراف وأقبل من كل جانب على الاشتراك فى القتال فانهزم حمود وجيشه ، وفى ذلك الهجوم صرع (عبد الوهاب) ولم يشعر أحد الجيشين بمصرعه ، واندفعت جيوش عبد الوهاب وراء المنهزمين كالسيل العارم واللجب المتلاطم والتفت حمود فاذا لم يبق حوله الا جماعة من ذوى الحمية والحفاظ فشق بهم طريقا الى معسكره بعد اليأس من الحياة فألفى المعسكر خاليا مقفرا لا تنبس فيه نأمة ولا تتنفس فى

أرجائه نسمة ، وكان الوقت صيفا ، والريح عاصفة تسفى الغبار الذى يحجب ضوء الشمس فوق رهج المعركة وعثير النقع ، فانسحب من المعسكر فى سرعة صوب الجنوب ، والمطاردة تتعقبه وتتعقب فلول جيشه حتى وصل صبيا فى آخر ذلك اليوم ، فتوقف بظاهر البلدة ، ولم يبق من جيشه معه ألا العدد اليسير ، وبينما هو يتجرع مرارة الهزيمة فى صمت ووجوم اذ أقبل عليه ابن أخيه منصور بن ناصر وفى يده مرآة مما يزين بها لجم الخيل ، قائلا : وصل الى الآن رجل يحمل هذه المرآة يذكر أنه وجد فارسا مقتولا وفرسه واقفا بازائه فأخذ المرآة ووصل بها الى ميدان المعركة : وبما أنى أعرف أن هذه المرآة هى زينة فرس عبد الوهاب فبدون شك أنه هو القتيل ، فصمت حمود لحظة ثم قال : أن انجلت هذه المعركة ـ مع ما لنا من الهزيمة ـ عن قتل عبد الوهاب ، فكل أمر بعده جلل ، ثم رحل من ساعته الى أبى عريش فدخله مع شروق الشمس فوجد المدينة قد غادرها سكانها ولم يبق فيها الا سكان حى الديرة ـ أسرة الأمير ورهطه ـ وقد هرب الجيش الاحتياطى الذى أبقاه فيها الا الأقل ، ولو كر الجيش المنتصر تلك الليلة أو ذلك اليوم لاستولى عليها بدون قتال ، وانما قتل قائده أفقده حسن التصرف فى اسغلال مكاسب المعركة .

وفى أثناء المعركة افتقد الجيش قائده فأخذ فى البحث حتى عثر على جثمانه وفرسه واقفا عند رأسه بدون رشمة ولا لجام فواروه الثرى ، واتفق بقية القادة على ارسال رسول الى قريبه طامى بن شعيب الذى يقود الحملة البحرية التى نزلت فى مدينة جازان وبوصوله ولوه القيادة مؤقتا ورفعوا بالواقع الى الدرعية وتقدموا الى صبيا فاستولوا عليها صلحا ، وبدلا من ان يتقدموا الى مدينة أبى عريش ساروا الى قلعة ضمد وبعد أن أقاموا على حصارها عشرة أيام عادوا الى عسير مما جعل صاحب (نفح العود) يعلق على تلك العودة بعد ذلك النصر ودون تحقيق الغاية بما معناه أنها عودة غير مخلصة .

انقضت بقية سنة ١٢٢٤ وسنة ١٢٢٥ والغارات التأديبية تتوالى على حمود ، وقارن هو بين ماضيه فى جلال الطاعة وعز الدعوة وبين حاضره غارات وقتال من الشمال ، ومصانعة لامام صنعاء وتنازلات اقليمية لمكاسب النهضة الاصلاحية السعودية ومعطيات الدعوة السلفية ، مع ما يستنزف موارده من رواتب وأعطيات للمرتزقة من همدان وغيرهم ، والذين يدينون بولائهم الروحى لامامهم أصدق من ولائهم لدراهمه ، يضاف الى ذلك أن غزو محمد على الى مستهل عام ١٢٢٦ لم يتحقق آنذاك كما كان أغراه البعض على حسابه . كل ذلك أعاد اليه صوابه

فاتصل بأمير صعدة ليبذل وساطته لدى الامام سعود فى عودته الى سابق عهده - وماضى ولائه ، يقول صاحب (تكملة كتاب نفح العود) : (ودخلت سنة ١٢٢٦ هـ فسعى محمد بن القاسمى أمير صعده فى اصلاح ذات - البين وتلافى ما وقع واجلب عليه الحين ، بين سعود وحمود ، وتم الصلح والسداد على ما يرام) ويقول صاحب كتاب (اللطائف السنية) (وتم الصلح على ان يبقى على تهامة ويعتزى اليهم) . ونلاحظ أن ذلك لم يرق لامام اليمن فأثار الحرب ضد حمود على حدود حيس وكحلان وغيرها حتى تمكن حمود فى عام ١٢٢٩ من دحر قواته فى موقعة مختارة .

كما لم يوافق ذلك هوى والى مصر محمد على الذى كان على وشك تنفيذ المخطط العثمانى الرامى لغزو الحجاز تمهيدا للقضاء على النهضة الاسلامية الصحيحة .

لقد وصل محمد على الى جده فى شعبان سنة ١٢٢٨ بعد سقوط المدينة المنورة فى يد ابنه طوسون واستيلائه على مكة المكرمة والطائف غدرا بمساعدة أمير مكة غالب بن مساعد بدون قتال .

ورأى محمد على أنه لن يحصل له النصر المرتقب الا بشطر الجزيرة وعزل شمالها عن جنوبها ، فتقدم من الطائف على رأس قوته فى سنة ١٢٢٩ فلم يصل الى بلاد عسير الا فى ٣٠ ربيع الأول سنة ١٢٣١ بعد قتال يشيب له الوليد .

فاضطر حمود كما اضطر غيره الى مصانعته ومكاتبته ولم يجبه محمد على الا على رسالته الرابعة اجابة بلهجة المترفع المبطنة بالتقريع .

وفى شهر جمادى الآخر سنة ١٢٣٠ عاد محمد على الى مصر بطريق الحجاز ، وفى ثلاثين من شهر شعبان ألقى حمود القبض على ابن أخيه يحيى بن حيدر - الذى أشرنا قبل هذا - أنه اتفق بـ (غالب بن مساعد) وأودعه السجن ، فتوجه على بن حيدر ومنصور بن ناصر ابنا أخوى حمود مغاضبين الى قائد محمد على ، حسنى باشا بمكة المكرمة وشكيا من تصرفات عمهما وطلبا المساعدة على اقصائه عن الامارة ، فأكرمهما ووعدهما بمساعداتهما بعد الانتهاء من حرب نجد .

فى أول سنة ١٢٣١ ثار العسيريون بقيادة محمد بن أحمد المتحمى على جيش محمد على على فانسحبت فلولهم برا الى الطائف وبحرا من ميناء القنفذة الى جدة .

علم ابراهيم بن محمد على بثورة عسير - وهو يحارب فى نجد - فأصدر أمره لقائده فى الحجاز حسنى باشا بالتقدم الى جبهة عسير وذلك فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢ فتقدم واستولى عليه فاختفى قائد الثورة محمد بن احمد فى جبل تهلل ، وبعد أن هدأت الأحوال فى عسير عاد حسنى باشا الى الحجاز وبعودته ظهر محمد بن احمد من مخبئه ، ونادى بالجهاد ضد الغزاة ، وهاجم الجيش الذى قاده حسنى باشا ، فلم يحالفه التوفيق ، وهزم ثانية ، وعمل المال عمله ، فتفرق الناس عنه ، فاضطر الى الاعتصام فى معقله ، ثم اتفق مع زميله زعيم قبيلة بنى مغيد بن مجثل ، على استدعاء حمود أبى مسمار الذى يتفق معهما فى الولاء للنهضة الاصلاحية ، وفى بعض الغزاة الواغلين .

استجاب حمود لندائهما وبعثا جيشا الى عسير بقيادة وزيره حسن بن خالد وفى اول بلدة من رجال ألمع التقى بجيش لمحمد على بقيادة القائد جمعة وعلى بن حيدر ومنصور بن ناصر فالتحم معه فى معركة انتهت بهزيمتهم وتراجعهم الى مركز انطلاقهم فى بلاد « حلى ابن يعقوب » .

فوالى تقدمه حتى ارتقى جبل تهلل الأشم ، هناك تحرج موقفه فاستنجد أميره حمودا الذى تقدم بنفسه على راس جيش قوى ، فتراخى عزم المعارضين وأقبل الموالون ، فاستولى على جميع بلاد عسير فاذا جيش آخر لمحمد على ، بقيادة سنان آغا ومنصور بن ناصر يتسنم عقبة شعار صاعدا لقتاله فأسرع لملاقاته ، والتحم معه فى معركة طاحنة قرب قرية الملاحة من بلاد بنى مالك ، انجلت عن أبادة ذلك الجيش وقتل سنان آغا ومنصور بن ناصر .

وتجمع مصادر تاريخ الجنوب ، بأن حمود توفاه الله بعد أيام من انتهاء تلك المعركة التى خاض غمارها وقد ابتدت به علة المرض وأن وفاته كانت فى يوم الاثنين الموافق ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣ هـ ولم تشر تلك المصادر الى اسم اليوم والى التاريخ الذى دارت فيه رحا المعركة ، كما أنها لم تشر الى أى علاقة أو ارتباط بين استيلاء حمود على عسير وبين المعركة الرئيسية الدائرة بين الدولة السعودية ومحمد على وهنا نتساءل :

١ - فى أى يوم وأى تاريخ - على وجه التحقيق دارت رحا معركة (الملاحة) بين حمود وسنان ؟

٢ - هل توفى حمود أبو مسمار - حقيقة - فى ذلك التاريخ أى فى ١٤ ربيع الاول ١٢٣٣ ؟

٣ - هل كان استيلاء حمود على عسير جزء من مخطط معركة الدفاع الرئيسية ، أم انها

انتهاز فرصة مع اندفاع خاص منه كما نفهم من مضمون تلك المصادر ، واستجابة لنداء وافق رغبة ومطمح وهوى ؟

وأقول بكل تواضع ، أنه بعد مضى ١٦٠ سنة ـ وبفضل الله تعالى وعونه أكون أول من اكتشف الحقائق الآتية :

١ ـ أن معركة الملاحة كانت على وجه التحقيق فى يوم الخميس الموافق ٢٤ ربيع الآولى سنة ١٢٣٣ .

٢ ـ ان صحة تاريخ وفاة (حمود أبى مسمار) فى يوم السبت الموافق ١٠ ربيع الثانى سنة ١٢٣٣ لا فى يوم الاثنين الموافق ١٤ ربيع الأول من تلك السنة .

٣ ـ ان استيلاء حمود على عسير هو من ضمن مخطط الدفاع السعودى وانه بالرغم من تلك الايام الحالكة والمعارك الدائرة فى قلب نجد لم تنقطع اتصالات الدولة الأم عن البلاد التابعة لها كما أن تلك البلاد لم تتخل أو تقصر عن ولائها للدولة السعودية ، وان ـ معركة الملاحة هى معركة فرعية من معركة المصير الواحد ضد الغزاة .

والدليل على ذلك هو دليل مشاهد مقروء ، يتألف من رسالة تاريخية جوابية من وزير حمود أبى مسمار الى الأمير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز السعود على رسالة موجهة الى حمود قبيل وفاته . وهى اشبه ما يكون بتقرير مرفوع من قائد أحد الميادين الى القائد العام عن معركة (الملاحة) والاجراءات الحربية والادارية التى تمت بعدها ، كما تشير رسائل متبادلة قبلها بين (العاصمة) وحمود .

وها هو نصها الحرفى : بسم الله الرحمن الرحيم ..

من حسن بن خالد الى الأمير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز آل سعود ... واياه بالباقيات الصالحات ...

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد فموجب الخطاب ابلاغك السلام والسؤال على حالك أحال الله عن الجميع كل مكروه وحسن بن شداد وصل والخطوط التى صحبته وصلت ، والحمد لله على عافيتكم .

وكان وصول الخطوط بعد أن اختار الله للشريف (حمود) ما عنده وانتقل من هذه الدار الفانية الى الدار الباقية : على أحسن حال (....) وكان وفاته لعشر مضين من شهور ربيع الأخرى . فالله المسؤول أن يرحمه ويكرمه نزله ، فلقد مات مجاهدا فى ذات الله .

وكان وفاته بعد أن جمع الله بيننا وبين أعداء الله من الترك وغيرهم لأربع وعشرين مضين من شهر ربيع الأولى ، وأخذ الله من الأروام ، واستولى على كل ما معهم ، وعلى ما جروه من المدافع والقنابر ، وقتل مقدمهم سنان آغا كما أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد) وقتل من الأتراك أكثر من ألف والحمد لله وحده صدق وعده ، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ..

وتوفاه الله بعد أن أخذ الله الجنود الفاجرة على يديه . وبعد ذلك من كان من العساكر من الجنود الذى جمعهم من أهل الدينار والدرهم رجعوا الى بلادهم ، وأخذهم على العمل بكتاب الله والسنة ، والموالاة والمعادة و السمع والطاعة فى العسر واليسر .

ومن بعد وجهنا المسلمين الى من يمتنّ من أهل الردة ، من أهل وادى شهران من أهل تنحّة ومّر الله جملة قرى فى وادى تندحة وشهران ، وبلاد عسير وحال .. نخط الخط والسجن ملآن من أشرار أهل الردة ، وباشات الترك ، والخيل التى بأيدى كل من والى الترك بأيدينا وأخذنا حلقة من رأينا أخذ حلقته ، وتاريخه وقد عاهدنا جبيدةورفيدة اليمن ، بعد أن اخربنا ديار من أراد الله وعاهد جميع شهران وبنى شهر ، وعاهد جميع بنى بشر وبالأحمر والأسمر ، وصار حد المسلمين الى شريف وسنحان ، وهم يكتبون الينا ، ورجال ألمع عاهد الجميع على العمل بكتاب الله ، وسنة رسوله ، كما قد ذكرنا لكم .

وتاريخه والمناخ الذى نحن فيه قد اجتمع فيه من المسلمين اكثر من عشرة آلاف ، وصذرت ونحن مستعينون الله ومستنصرونه ومثورون لجهاد أعداء الله نسأل الله الثبات فى الأمر ، والعزيمة على الرشد ، ونسأل الله أن ينصر دينه وكتابه « وما النصر الا من عند الله » .

وقد بلغنا استيلاء هذه الطائفة الكفرية على الوشم والقصيم ، وسدير ، ودخولهم اضراما ، واضطراب العارض ، وهذه ثمرات الذنوب ، نسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا ، واسرافنا فى أمرنا ، ويثبت أقدامنا ، وينصرنا على القوم الكافرين .

والعبد المسلم لا يستوحش فى طريق الهدى لقلة سالكه ، والاعتصام بالله والتمسك بحبل الله هو رأس النجاة ، ولا ينبغى للمسلم أن يفتقر الى غير الله ، نسأل الله الهداية الى الصراط المستقيم .

جواباتكم صحبت محمد الحويك وصلت وقت وفاة الشريف ، وأرسلنا الخط الذى منكم اليه الى الولد أحمد بن حمود ، وصدر اليكم جوابه وهو معاكم إن شاء الله ، وقائم بغاية الهمة فى جهاد أعداء الله ، نسأل الله أن يثبته ويسدد خطاه وأن يأخذ بناصيته الى ما فيه الخير والولد شبيب وصل الينا بعد الحرب (نحو عشر كلمات غير مفهومة لتآكل الورقة) . انتهى ..

ان سقوط ضرمى هو فى ١٧ ربيع الآخر سنة ١٢٣٣ ، ونقدر أن ـ الرسالة كتبت فى شهر جمادى الاولى الذى بدأ حصار الدرعية فى ٢٩ منه .

لقد أشرنا فى أول هذه المحاضرة الى الرسالة التاريخية الصادرة من الامام عبد العزيز بن محمد الى أهل المخلاف السليمانى ـ منطقة جازان حاليا ـ قبل ١٨٠ عاما ، والآن نختتمها بالرسالة الصادرة من أحد أبناء ذلك المخلاف الى حفيده عبد الله بن سعود بن عبد العزيز .

المخطوطات بالمكتبة العقيلية بجازان

المحاضرة التى حاضرنا بها بالمؤتمر الأول للأدباء السعوديين
فى قاعة المؤتمرات بالزاهر بمكة المكرمة فى ١٣٩٤/٣/٣هـ

المخطوطات بالمكتبة العقيلية بجازان

المحاضرة الثانية[1]

حضرة الرئيس/حضرات السادة :

من المواضيع المدرجة فى مقترحات جامعة الملك عبد العزيز لمؤتمر الأدباء السعوديين ، طلب القيام بدراسة واعداد قائمة لأهم المخطوطات فى احدى المكتبات العامة أو الخاصة ، وبما أن المكتبة العقيلية الخاصة بجازان ، هى من المكتبات التى تحتوى على عدد من المخطوطات النادرة ، لذلك فقد قمت باعداد قائمة ، وتقديم دراسة موجزة لأهم محتوياتها من المخطوطات .

أيها السادة :

ان المكتبات فى كل أمة هى رمز حضارتها ، وعنوان رقيها ، ودليل ثقافتها ، لقد اعتنت الأمم قديما وحديثا بالمكتبات ، فنجدها فى العصور الموغلة فى القدم لدى المصريين ، والصينيين ، والهنود والأشوريين والفينيقيين ، بقدر ما تسمح وسائل عصورهم ـ كما نجدها بصورة أنظم لدى اليونان ، ثم الرومان ، فقد ورد فى التاريخ أن (بيز بسترايتدس) اليونانى أسس مكتبة عامة ، فى القرن السادس قبل الميلاد ظلت عامرة حتى أبادها الفاتح الفارسى (أكسير كسيس) .

كما تأسست أول مكتبة فى روما فى عهد الامبراطور (أغسطس) ثم انتشرت المكتبات بعد ذلك فى مدن الرومان ، وارتقى بذلك الذوق العلمى ، حتى قل أن يتخلى قصر فخم لأمير أو غنى من مكتبة خاصة .

وجاء العرب فكان دورهم فى تأسيس المكتبات العامة والخاصة أشرف دور ، وما دار

---

(١) المحاضرة التى حاضرنا بها بالمؤتمر الأول للأدباء السعوديين فى قاعة المؤتمرات بالزاهر بمكة المكرمة بتاريخ ١٣٩٤/٣/٣هـ التى دعت اليه جامعة الملك عبد العزيز.

الحكمة التى شادها الخليفة المأمون الا مكتبة من أعظم المكتبات وأرقاها فى ذلك العصر ، ثم مع تقدم الذوق العلمى انتشرت المكتبات فى عموم الوطن الاسلامى حتى لم تبق عاصمة أو حاضرة ، الا وبها مكتبة عامة ومكتبات خاصة ، ومكتبات فى المساجد وأخرى فى كل جامع وكذا فى الأربطة والزوايا مما يطول شرحه لو أردنا الاستقصاء .

لقد عرف الانسان الكتابة ، فكان ذلك أخطر اختراع وأعظم اكتشاف دفع بالإنسانية الى مراقى الرقى ومدارج الحضارة ، واذا كنا لا يبهرنا ـ حاليا ـ عظمة هذا الاكتشاف ، فلأن كل اكتشاف أو اختراع ـ مهما عظم خطره وحل أثره يصبح مع مرور الزمن والأيام شيئا عاديا مألوفا ، وهذا أمر وصول الانسان الى سطح القمر ـ الذى هز الدنيا ـ قبل سنوات يسيرة أصبح أمرا عاديا الآن .

أيها الســـادة :

الكتابة هى الوسيلة الأولى ـ ولا تزال ـ لتدوين تجاوب الانسان الأول واختباراته التى كانت اللبنة الأولى لأساس المعارف والعلوم فاذا كانت الكتابة هى الوسيلة لتسجيل العلم ، فالكتاب هو وعاؤه أو محفظته والمكتبة هى خزانته أو مستودعه ، وما أجلها خزانة وما أشرفه فى مستودع .

أيها الســـادة :

لقد بذلت من الجهد والمال فى الحصول على تلك المخطوطات حرصا على أن لا تضيع أو تتلف أو تتسرب الى خارج مملكتنا ـ بذلت من الجهد والمال الشىء الكثير ، وانى لأعتز بحفاظى على هذا التراث الخالد كل الاعتزاز .

وبعد هذا التمهيد يسعدنى أن أتقدم بهذه الدراسة الموجزة عن أهم هذه المخطوطات . بالمكتبة العقيلية الخاصة (بجازان)

١ ـ اسم المخطوط (قران كريم) :

مصحف شريف بقلم الخطاط عبد الهادى بن على الدمينى ـ من أهالى مدينة أبى عريش بالخط النسخ الجميل المموه الحواشى بماء الذهب وكذا الأجزاء والأعشار ، ومهمش بالقراءات السبع والمصحف على ورق صقيل تاريخ نسخه سنة **١٢٧٧ هـ** . مقاس **٢١/٥ × ١٤/٥** وحجم ٦ س .

(قسم التاريخ)

١ ـ العقيق اليماني في حوادث ووفيات المخلاف السليماني :

يعد فى نظرى من أهم مصادر تاريخ المنطقة ، يسجل تاريخ ٣٥٠ سنة لا تجدها فى مصدر اخر غيره ، فهو عدا الحوادث التاريخية والوفيات يسجل الأحداث الطبيعية كـ (المجاعات) و (الأوبئة) و (الأمطار) العظيمة و (السيول الجارفة) و الحرائق) و العملات المتداولة) و المكايل) وقيمة (الحبوب) وقيمة (السمن) و . . . . (المواشى) و (كوارث الجراد) . .

وهو مع تسجيل الوفيات ، يعتنى بتسجيل الجانب العلمى للمتوفى ومنزلته الاجتماعيه ومؤلفاته ـ ان كان له مؤلفات أو شعر . ومؤلف العقيق هو العلامة الشيخ (عبد الله بن على النعمان من أهل قرية (الشقيرى) ـ بالتصغير ـ من قرى (المخلاف السليمانى) .

عاش فى القرن الحادى عشر وتوفى فى سراره . وقد أشار فى مقدمة تاريخية بانه جعله (ذيلا) لكتاب غربال الزمان للعامرى الحرضى المتوفى سنة ٨٩٣ هـ ، وانما صاحب (غربال الزمان) وجه كل اهتمام الى اخبار وحوادث العراق أو بالأصح الخلافة العباسية وبعض تاريخ الخلافة الفاطمية ، ولم يورد عن المخلاف السليمانى الا نحو خمسة صفحات أو أقل استطرادا . فهو تقريبا خالٍ عن كل ما يهم الباحث عن المخلاف السليمانى .

ان اسلوب الكتاب أسلوب عادى ، وانما قيمته فيما أثبته من الأحداث والحوادث واستقصاه سواء فى الأخذ ممن سبقه أو ما عاصره وشاهده وعنايته الخاصة بأحوال منطقته مما يجعلك تعجب بمؤلفه القيم .

والنسخة بخط المؤلف وعليها بعض الحواشى بقلم علم من علمائنا من رجال العهد الادريسى ، ويحتوى على خمسمائة صفحة من مقاس ٢٤ × ١٨/٥ .

٢ ـ العقد المفصل بالعجائب والغرائب :

تأليف العلامة الشيخ على بن عبد الرحمن البهكلى من علماء القرن الثانى عشر والكتاب يسجل تاريخ فترة قصيرة جدا من تاريخ المنطقة ولكنها مليئة بالحوادث الساخنة

والأحداث المتغيرة ، بالنسبة الى ـ المنطقة ـ بطلها أمير نزح من الحجاز على أثر نزع بين (آل بركات) و (آل زيد) اضطره الى التوجه جنوبا لطلب معونة امام صنعاء الذى لم يكن فى وسعه مساعدته فرأى من الحكمة أو المصلحة أن يستولى على قسم من تهامة وعلى المخلاف السليمانى ، وأراد الأمير الجديد أن يطبق اسلوبه الاستبدادى فى المنطقة فوجد من المقاومة ما جعله بعد نحو سنتين ينجبر على العودة الى مكة ، والمخطوط حلقة لها أهميتها فى سلسلة تاريخ المنطقة وما يجاورها من الجنوب والشمال .

والمخطوط فى ٥٦ صفحة من مقاس ٢٣ × ١٨ فى كل ص ٢٧ .

٣ ـ خلاصة العسجد فى تاريخ الأمير محمد بن أحمد الخيراتى :

مخطوط يسجل تاريخ أول أمير من تلك الأسرة فى المخلاف السليمانى وكيف تولى بمساعدة أهل الجهة ومباركة امام صنعاء ، والحوادث المثيرة التى تخللت حكمه وكيف استعان بمرتزقة من أهل الشحر ثم بمرتزقة من قبائل يام حتى صار ذلك تقليدا مرعيا وعادة متبعة لكافة أمراء تلك الأسرة وما جره ذلك التقليد من ويلات على الجهة من أولئك المرتزقة والمخطوط يسجل تاريخ واحد وأربعين سنة هى مدة حكم ذلك الأمير منذ توليه الى حين وفاته .

ومؤلفه هو العلامة الشيخ (عبد الرحمن بن حسن البهكلى) ويشتمل المخطوط على ٩٣ صفحة من مقاس ٢٦ × ٢٠ فى كل صفحة ٢٣ سطرا .

٤ ـ نزهة الظريف فى حوادث أولاد الشريف :

لمؤلفه الشيخ عبد الرحمن بن حسن البهكلى من رجال القرن الثانى عشر والمخطوط يسجل أشد الفترات الزمنية اضطرابا وفوضى فى المنطقة وقد قام المؤرخ رحمه الله بتسجيل حوادث تلك الفترة وما تخللها من فوضى وفتن ومنازعات بين أولئك الاخوان على مركز الامارة واستغلال المرتزقة من اليامين لحاجة كل منهم اليهم وما يشتطون فيه من طلبات لقاء المساعدة ، وما يقومون به من التسلط والسلب والنهب ولا فى عاصمة الامارة أبى عريش وحسب بل أغلب جهات المنطقة بل ونهب الامراء أو الأمير القائم بالامارة ، فالأمراء يحتاجون اليهم لتدعيم سلطتهم العائلية ومركزهم الزمنى وهم بدورهم ، يفرضون سلطانهم على المتولى للسلطة فيكون أداة فى يدهم حتى اذا استنزفوا خزينته وشعروا بخواء حقائبه أطمعوا أحد

اخوانه فى الامارة وأعانوه على ازالة الأول واشترطوا الثمن الباهظ عاجلا وآجلا فان لم يف لهم قاموا بالنهب والسلب . والمخطوط فى ٧٢ ص من القطع المتوسط .

٥ ـ نفح العود فى سيرة الشريف حمود :

تأليف الشيخ عبد الرحمن بن أحمد البهكلى ومذيل بتكملة بقلم الشيخ الحسن بن أحمد عاكش ، وهو من المخطوطات المهمة بالنسبة الى تاريخنا الحاضر لانه يشتمل على تاريخ الدولة السعودية الاولى فى المخلاف السليمانى وجنوب الجزيرة وغزو محمد على لعسير ثم استيلاء حمود على بلاد عسير من جيش محمد على باشا والى مصر ، والمخطوط فى ١٣٧ صفحة مقاس ٢٤ × ١٨ .

٦ ـ الديباج الخسروانى فى ذكر ملوك المخلاف السليمانى :

تأليف الحسن بن أحمد عاكش المتوفى سنة ١٣٦٨ هـ هو من حلقات سلسلة لتاريخ المخلاف السليمانى ويأتى ترتيبه الزمنى بعد نفح العود ، والمخطوط يشتمل على طرف من أخبار حمود أبى مسمار دوّنها قبل أن يقف على كتاب نفح العود ، تلقاها كما يذكر من أفواه الثقات ، كما يشتمل على وفاته وبوادر الاختلاف بين خليفته ابنه أحمد بن حمود والوزير حسن بن خالد ، ثم ماتمَّ بينهما من الصلح الى ان توجه الوزير الى عسير ووصول خليل باشا وعلى بن حيدر الى المخلاف السليمانى والقاء القبض على أحمد بن حمود وارساله الى مصر ، ثم اخبار خلفه على بن حيدر واخبار ابنه الحسين بن على بن حيدر الى وصول توفيق باشا واستيلائه على جنوب الجزيرة والقبض على الحسين بن على وارساله الى الأستانة ، وأخيرا القتال فى مدينة أبى عريش بين أبى الحسين ابن على وابن عمه .

والمخطوط فى ١٢٤ صفحة مقاس . ٢٠ × ١٤ فى كل صفحة ٢٢ سطرا .

٧ ـ الدر الثمين فى ذكر مناقب والواقع لأمير المسلمين . :

تأليف الحسن بن أحمد عاكش ، تتضمن الرسالة تاريخ الأمير عائض باختصار وسيرة ابنه باطناب كما تناول أخبار المخلاف السليمانى فى تلك الفترة مع الأمير محمد بن عائض والرسالة تأتى أهميتها التاريخية لكونها من المصادر القليلة عن تاريخ تلك الفترة .

٨ ـ الجواهر اللطاف المتوج بهامات الاشراف من سكان صبيا والمخلاف :

تأليف القاضى محمد حيدر القبى ، أحد علماء المنطقة ورجال العهد الادريسى البارزين ، فى النصف الاول من هذا القرن ، والكتاب وضع أصلا للتحامل على شخص بغية نفيه من الهاشميين ، وحصره لبقية الأسر الهاشمية ، وانما تخلل ذلك شىء من الفوائد التاريخية والاجتماعية ، تناولها من بعض مصادر أصبحت فى حكم المفقودة ، والكتاب يقع فى جزئين صغيرين مقاس ٢٠ × ١٥ ومجموع صفحاته مائتان وخمسون صفحة .

٩ ـ بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد :

تأليف مؤرخ ومحدث اليمن ، الشيخ عبد الرحمن الديبع المتوفى سنة ٨٦٦ هـ ، وموضوع الكتاب ، هو تاريخ اليمن منذ عهد الرسالة الى نهاية مدة المؤلف ، وانما اكتفى بالاختصار الكلى فيما قبل عهد المأمون بن الرشيد ، واعتنى فيما بعد ذلك وبالأخص فى دول أهل مذهب السنة والجماعة الذين شمل سلطانهم تهامة اليمن الأسفل ، وما شمله أيضا سلطانهم من صنعاء وجهاتها باستثناء القسم الشمالى كصعدة وغيرها الذى تركزت فيه سلطة الأئمة الزيدين . فهو مثلا مؤرخ للدولة النجاحية ثم للدولة (الزيادية) ثم للدولية الصليحية ثم للدولة النجاحية الثانية ثم للامارة المهدية ـ على بن مهدى وابنيه ثم للدولة الأيوبية ثم للدولة الرسولية ثم الطاهرية وهكذا .

١٠ ـ تحفة الزمن فى تاريخ سادات اليمن :

تأليف حسين بن عبد الرحمن الأهدل المتوفى سنة ٨٥٥ هـ ، مخطوط لا يستغنى عنه من يريد دراسة تاريخ تهامة اليمن بل والمخلاف السليمانى فهو مزيج من التاريخ والسير والتراجم الشخصية ووصف بعض العادات وأخبار المتصوفة وشطحاتهم ونفوذهم الاجتماعى ومواسم احتفالاتهم ، وعدد مريديهم ومراعاة الدولة لهم للسيطرة بواسطتهم على الشعب المغلوب على أمره لتخدير أحاسيسهم بما يروج له أولئك المتصوفة من القوى الروحية بزعمهم والقدرة الغيبية فى عرفهم ، وهو يأخذ عن الجندى كثيرا وربما اعتمد عليه اكثر فيما عدا ما فى عصره هو نفس أو أخذه رواية ممن أخذ عن غيره ، ويتناول بعض تاريخ الدول الرسولية وغيرهم ، وعلى وجه العموم فالمخطوط ركام من الأخبار والمعلومات يستطيع الباحث المدقق ان يفيد التاريخ والأدب وان يخرج منها بالنتائج الايجابية . والمخطوط فى ١٤٧ صفحة من مقاس ٣٠ × ٢٠ فى كل صفحة ٣١ سطرا .

١١ ـ *قرة العيون فى تاريخ اليمن الميمون* :

مخطوط لمؤلفة (عبد الرحمن الديبع) ـ السابق ذكره ـ وهو أوسع من سابقه وينتهى بدولة الملك المجاهد الرسولى ـ حسب النسخة التى لدى ـ ويقع فى ٢٨١ ص من مقاس ٣٠ × ١٦ .

١٢ ـ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى :

تأليف عبد الله بن على الوزير المتوفى سنة ١١٤٧ يسجل تاريخ اليمن من الوجهة الطائفية ، والنظرة المذهبية الضيقة ، والمخطوط ذو قيمة تاريخية بالأخص لمن يريد دراسة امامة اسماعيل المتوكل ومن خلفه فى القرن الحادى عشر ، ويتكون الكتاب من جزئين مجموع صفحاتهما ٢٤٥ من مقاس ٣١ × ٢١ .

١٣ ـ تاريخ وطيوط :

تأليف الفقيه وطيوط من أهل تهامة اليمن ، أعجوبة من الطُّرف يجمع بين المتناقضات فهو يذكر أخبار رجال التصوف وينسب اليهم من الارهاصات مالا يستساغ ولا يقبله العقل ، كما يورد حكايات شعبية عن الجن وسخافات عن المردة ، فى سياق أخبار جادة وحقائق ناصعة ورسالة تاريخية صحيحة وأخبار عن الاقطاعية ورؤساء القبائل ، كما يورد أنساب قبائل وادى سهام ووادى دؤال وغيرهم ، وأصولهم القحطانية الصحيحة ، مما لو درست لصححت على ضوئها انساب وتغيرات مفاهيم فى ذلك المجتمع كما يوقفنا على اسماء شعراء وشاعرة تهامية عاشت فى القرن السابع ، لم يذكرهم أو يذكرها التاريخ ، وبالجملة فالمخطوط كما المعنى ـ قبله ـ أعجوبة وبين ركام الأساطير وغثاء زبد الخرافات ، وسخافات الأقاويل ويستخرج الباحث المدقق (الماسة) اللامعة واللؤلؤة الفريدة .

والمخطوط يشتمل على ٢٦٥ صفحة من مقاس ٢٤ × ١٨ .

١٤ ـ اللطائف السنية فى أخبار الممالك اليمنية :

تأليف العلامة محمد بن اسماعيل الكبسى المتوفى سنة ١٢٨٩ هـ وموضوع الكتاب تاريخ اليمن بصورة الى الايجاز أقرب ، ومؤلفه دقيق الملاحظة معتدل الأحكام فيما يصدره .

وبما أن الكتاب ألفه اصلا لأحد الولاة الاتراك فى اليمن فقد تحرى مؤلفه الاعتدال ، والمخطوط يشتمل على جزئين فى مجلد مجموع صفحاتها ٢٣٩ مقاس ٢٤ × ١٨ فى كل صفحة ٣١ سطرا .

١٥ ـ نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن ، وذكر الحوادث الواقعية فى هذا الزمن :

تأليف اسماعيل بن محمد الوشلى ، أحد علماء تهامة اليمن فى الثلث الأول من هذا القرن ، ويقع المخطوط فى أربعة مجلدات تبلغ مجموع صفحاتها ١٨٨٤ صفحة من القطع المتوسط ، ومؤلفه ينقل بعض مؤلفات برمتها ويشير الى ذلك وبذلك حفظ لنا عبر كتابة مؤلفات مفقودة أو شبه مفقودة وفى بعض الحالات لا يشير الى ما أخذ عنه ، وهو قليل ، وجزءان من الكتاب مخصصان لتراجم ثلاثة أو أربع اسر أما الجزءان الأخيران فقد اهتم الكتاب بالوجهة التاريخية والاجتماعية والكتاب أعتقد انه لا يوجد منه أكثر من نسختين لكبر حجمه ، وأغلب المخطوطات بخط المؤلف نفسه ان لم يكن كله .

١٦ ـ تاريخ أو سيرة الامام الهادى يحيى بن الحسين الرسى مؤسس الامامة الزيدية فى اليمن :

مخطوط تظهر عليه دلائل القدم ، ويشتمل على سيرة تلك الشخصية العربية الكريمة والتى لها مكانة القداسية فى نظر أتباعها ، وهى ان كانت الى الغلو أقرب ، الا انها تفيد المطلع بوجهة نظر فرقة من جماعة المسلمين نحو امامها الدينى وزعيمها الروحى .

والمخطوط فى ٢٦٠ من القطع المتوسط .

١٧ ـ عبرة اللبيب وفكرة النجيب :

تأليف جابر بن فهد المكرمى ، والمخطوط من المخطوطات النادرة جدا من كتب اسماعيلية اليمن فى جهة (حراز) ، ويظهر ان المؤلف من اسلاف مكارمة نجران ، ويشتمل على تاريخ عدة من حروبهم مع الامام شرف الدين امام صنعاء ومع ابنه المطر بن شرف الدين .

(قسم الأشعار)

١٨ ـ ديوان السلطانين :

ديوان فريد لأميرين من أمراء الاقطاعيات فى اليمن فى اول القرن السادس وهما سليمان والخطاب ابنا أبى الحفاظ الحجورى ، الأول سنىّ العقيدة والثانى اسماعيلى المذهب ، وقد لعبا دورا مهما فى تاريخ اليمن فالأول يسير فى فلك الخلافة العباسية والثانى يسير فى فلك الخلافة الفاطمية ودفعا الى حرب تترجم عن عقيدة كل منهما استمرت زهاء عشرين عاما الأول يستمد عونه من الصليحيين التابعين لمصر والاخر من النجاحيين التابعين لجلاد بغداد وكما ترجما عن عقيدتهما بحد السيف ، فقد سجلا حربهما بلسان الشعر ، فى شعر من النسق العالى ، هو أمنية الاناقة ومنية الأنظار وأمل الأسماع .

ان القسم الاكبر من هذا الديوان مفقود كليا فى جميع المكتبات فى العالم ماعدا هذه النسخة ، والقسم الثانى يوجد منه مايوجد فى مكتبة الاسماعيلية فى (حراز) باليمن . والديوان فى ١٣٦ صفحة مقاس ٢٠ × ١٥ ، ويستدل من جملة فى مقدمة احدى ، قصائد الديوان والتى نصها الحرفى (هذا اخر ما وجد من المسودات بخط يده) ـ الضمير يعود الى السلطان سليمان ـ ان الديوان كتب فى القرن السادس . وقد طبع مختارات من الديوان مع دراسة وتحليل بقلم محمد بن احمد العقيلى كما طبع قسم من أشعار السلطان الخطاب احد الشاعرين بقلم (قربان) الاسماعيلى فى القاهرة .

١٩ ـ ديوان شاعر اليمن على محمد العنسى المتوفى سنة ١١٣٩ هـ :

مخطوط لديوان شاعر معروف المكانة والشعر فى جنوب الجزيرة والديوان ينقسم الى قسمين . القسم الأول والأكثر باللغة الفصحى والاخر باللهجة اليمنية الدارجة (حمينى) ويحتوى الموجود منه على ٢٩٤ صفحة مقاس ٣١ × ٢١ فى كل صفحة ١٨ سطرا .

٢٠ ـ ديوان فى مدح الامام الناصر الحسن بن عز الدين القرن العاشر :

خاص بمدح ذلك الامام لعدد من الشعراء بينهم بعض شعراء من اهل المخلاف السليمانى

يحتوى على ١٢٦ صفحة مقاس ١٨ × ١٢ وهو بمضمونه يعطى فكرة على الأدب فى القرن العاشر بالنسبة الى جنوب الجزيرة .

٢١ ـ مجموعة نادرة بدون عنوان :

مجموعة شعرية بأقلام مختلفة من رجال العهد الادريسى منها قلم (عبد الوهاب بن محمد الادريسى) وقلم (القاضى على بن عطيف) ، وغيرهما .

وهى النسخة الوحيدة وتشتمل على قصائد غزل وابتهالات ومدح فى الامام الادريسى ووالده ومائة وعشرة أبيات من أشعار الامام الادريسى نفسه .

٢٢ ـ ديوان أشعار عالم المخلاف السليمانى فى القرن الثانى عشر حسن بن أحمد عاكش :

يحتوى على قصائد اخوانيات ، وخصوصيات ومديح وغيره ، بخط المؤلف ويحتوى الديوان على ١٦٨ صفحة مقاس ٢٣ × ١٤ وأعتقد أنه النسخة الوحيدة .

٢٣ ـ الدامغة فى المفاخر بين العدنانيين والقحطانيين :

قصيدة مطولة فى المفاخر ليس عليها اسم المؤلف ومن النظر الى المخطوط يظهر عليه دلائل القدم .

(السيرة النبوية)

٢٤ ـ بهجة المحافل وبغية الأماثل :

نسخة فريدة يقال أنها بخط المؤلف (يحيى بن أبى بكر العامرى الحرضى المتوفى سنة ٨٩٣ وقد كانت من مقتنيات أحد أئمة اليمن ، وعليها بخطه أو بخط ابنه حواشى قيمة بخط فارسى جميل وتحتوى على ٢٣٦ صفحة مقاس ٢٩ × ١٩ .

٢٥ ـ مخطوط ذهب عنوانه لنقص أوله :

المخطوط فى السيرة النبوية ولم يتُحْ لى الوقت لدراسته حتى استنتج اسم مؤلفه والمخطوط يحتوى ٥٣٠ صفحة مقاس ٢٢ × ١٦ فى كل صفحة ٢١ سطرا .

(المخطوطات الأدبية واللغوية)

٢٦ ـ مطالع البدور ومجمع البحور :

تأليف أحمد بن صالح بن أبى الرجال المتوفى سنة ١٠٩٢ يشتمل على تراجم أدبية لأدباء وشعراء جنوب الجزيرة العربية ، وهو من المصادر الأدبية المهمة ويشتمل على ٤٢٩ صفحة فى كل صفحة ٣٠ والمخطوط من القطع الكبيرة .

٢٧ ـ مخطوط ناقص الأول والاخر لأبى العلاء المعرى :

وأول المخطوط شعرا :

وما تركت بـذات الضـــال عاطـــلة
من الظبـــاء ولا عـــار من البقـــر

ثم يشرح البيت : الضال شجر وذات الضال موضع ، والعاطل التى لا حلى لها والمعنى انك وهبت الحلى للظباء ، وحليتها حتى زال عطلها ، وهكذا يأتى بالبيت من الشعر ثم يتولى شرحه ، ويشتمل على ٣٤٠ صفحة مقاس ٣١ × ٢٢ فى كل صفحة ٣٠ سطرا .

٢٨ ـ طيب السمر فى أوقات السحر :

تأليف أحمد محمد الحيمى المتوفى سنة ١١٥١ تراجم مسهبة مع نماذج من نتائج أفكار المترجم لهم ، وهو على طراز الريحانية وأمثالها من التزام السجع والجناس ، ويعتبر المخطوط من مصادر الأدب اليمنى وهو فى ٦٤٦ صفحة مقاس ٣١ × ٢٢ وبخط نسخ جميل .

٢٩ ـ تفريض الجمان المتضمن لمدح زينة العصر والأوان الحسين بن على بن حيدر :

تأليف العلامة الأديب محمد بن على العمرانى المتوفى سنة ١٢٦٤ يشتمل على مقامات أدبية اقترحها الأمير على أدباء حضرته فى نزهة قام بها من مدينـة (زبيـد) الى منتـزه

(المغرس) ، والمخطوط يعطينا فكرة عن الأدب فى الجنوب فى وقت ركدت فيه رياح الأدب فى سائر انحاء الجزيرة العربية بل البلاد العربية برمتها ، والمخطوط هو النسخة الوحيدة وتقع فى ٦٦ صفحة مقاس ٢٢ × ١٤ .

٣٠ ـ مخطوط ناقص الاول والاخر مما جعله بدون عنوان :

موضوعه تراجم أدبية لأدباء اليمن ونماذج من النثر والنظم والمخطوط جيد النسخ ويحتوى على ١٥٦ صفحة من مقاس ٣١ × ١٩ .

٣١ ـ الريحانة :

تأليف شهاب الدين أحمد الخفاجى ، والكتاب من الشهرة بمكان وقد طبع ، الا أن هذه النسخة تحفة أدبية بخطها النسخ الشامى الجميل وفى غاية الضبط والأناقة ، وقد كانت من مقتنيات أحد أبناء أئمة صنعاء محمد الحسين بن القاسم ، وعليها رسم (هذا ما من به الله لعبده الفقير اليه محمد بن الحسين بن الحسن ابن الامام القاسم ملكها بطريق الشراء الصحيح فى جمادى الاولى سنة ١١١٦ هـ .

والمخطوط فى ٥٥٤ صفحة مقاس ٢٠ × ١٥ فى كل صفحة ١٩ سطرا .

٣٢ ـ حدائق الزهر فى ذكر أعيان الدهر :

تأليف الحسن بن أحمد عاكش كتاب تراجم فيه لمن أخذ منه أو أخذ عليه العلم أو زامله ، والمخطوط صورة من أدب المخلاف السليمانى فى القرن الثالث عشر وعلاقته الأدبية بالشمال والجنوب بالنسبة الى موقعه وهو فى ١٣٠ صفحة من مقاس ٢٠ × ١٥ ومما تتميز به النسخة أنها بخط المؤلف نفسه .

٣٣ ـ رسالة الحور العين :

للعالم المشهور (نشوان بن سعيد الحميرى) والرسالة من الشهرة بمكان وهى قديمة وبخط فارسى جميل .

٣٤ ـ مقصور الغرناطى :

نظم محمد بن محمد بن ميمون البلوى الأندلسى الغرناطى فى اللغة فى صفحتين ونصف تاريخ نسخها سنة ٧٧٦ هـ مقاس ٣٦ × ١٥ . . مشغوله بالحوا .

(مخطوطات العلوم الدينية)

٣٥ ـ المتصوفة فى علم القراءة :

أرجوزة جليلة فى علم القراءات تاريخ نسخها سنة ١٠٦٥ فى ١٢ صفحة من مقاس ٢٠ × ١٤ بخط فارسى جميل .

٣٦ ـ الانصاف بذكر اسباب الخلاف :

تأليف عبد الله بن محمد البطليوسى المتوفى سنة ٥٥١ هـ والكتاب عنوانه يفصح عن موضوعه ويحتوى على ٧٠ صفحة من مقاس ٢٣ × ١٦ وتاريخ نسخه سنة ١٢٦٨ .

٣٧ ـ الاشاعة فى بيان النهى عن فرقة الجماعة :

رسالة لمحمد بن اسماعيل الأمير العالم اليمنى المعروف المتوفى سنة ١١٨٣ فرغ من تأليفها فى شهر محرم سنة ١١٦٩ ومما يرفع قيمة النسخة ـ مع اهمية موضوعها ـ أنها منسوخة بقلم الامام محمد بن على الادريسى بتاريخ شهر صفر سنة ١٣١١ هـ بمدينة صبيا .

٣٨ ـ الأدلة الجلية فى تحريم النظر الى الأجنبية :

تأليف العلامة محمد بن اسماعيل الأمير واسم الناسخ على بن شمس الدين المؤيد سنة ١١٥٧ . والرسالة فى ١٨ صفحة .

٣٩ ـ تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد :

تأليف محمد بن اسماعيل الأمير ، فى ١٥ صفحة مقاس ٢٧ × ١٦ وهى منسوخة بقلم الامام محمد بن على الادريسى بتاريخ شهر محرم سنة ١٣٠٨ بمدينة صبيا .

٤٠ ـ شرح قصيدة (غرام صحيح والرجا فيك معضل) :

تأليف العلامة محمد بن أحمد بن زين الدين الحنبلى وهى فى مصطلح علم الحديث ، والرسالة فى ٤ صفحات مقاس ٢٧ × ١٦ بخط الامام محمد بن على الادريسى بتاريخ سنة ١٣٠٨ هـ . .

٤١ ـ الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة :

تأليف العلامة المشهور محمد بن على الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٠ وتاريخ النسخة سنة ١٢٢٣ بقلم المؤلف نفسه وهى فى ٨٤ صفحة مقاس ٢٦ × ١٩ .

هذه اهم المخطوطات فى المكتبة العقيلية (الخاصة) بـ (جازان) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأماكن الجغرافية فى الشعر
بمنطقة جازان

المحاضرة التى حاضرنا بها فى المؤتمر الأول للأدباء
فى قاعة المؤتمرات بالزاهر بمكة المكرمة فى ١٣٩٤/٣/٤هـ

(الأماكن الجغرافية لمنطقة جازان)
فى الأدب العربى[1]
(القديم والحديث)

سيدى الرئيس .. ساداتى الأجلاء :

الأماكن الجغرافية فى أدبنا العربى ، لها مكانتها المعروفة وقد يكون الأدب العربى من أحفل الآداب العالمية ، عناية وشعورا وعاطفةً بالأماكن الجغرافية .

لذا نجد الانسانَ العربى ، بفطرته حتى فى جاهليته شديد الارتباط كثير التعلق بمسقط رأسه ، ومدارج طفولته ، وملاعب صباه ونوادى سمره ، ومجرى سوابقه ، لقد لهج بها مترنما وشدا متغنيا ، وسجل أحاسيسه ، وعبر عن مشاعره وعواطفه ، بشعر من النسق العالى ، والفن الرفيع ، والأدب الخالد .

ان الأدب فن من الفنون الجميلة ، والفنون الجميلة ـ سواء كانت (أدباً ، أو نثراً ، أو شعراً ، أو رسماً ، أو موسيقى . فهى قد وصفت « أنها مظاهر » حية لسيطرة الانسان على العالم ورغبته فى صبغه بالصبغة الانسانية » .

فَرُبَّ قطعةٍ أدبية ، أو رسم ، أو نوتة موسيقية . تمنحنا قراءتها أو النظر اليها أو الاستماع لها ، أو التأمل فى ابداعها ، من المتعة الجمالية ، والنشوة الفكرية ، والتأمل الراقى ، ما لايستطيع القلم التعبير عنه ، أو اللسان الافصاح عن الاحساس به .

---

(١) المحاضرة التى حاضرنا بها فى المؤتمر الأول للأدباء فى قاعة المؤتمرات بالزاهر بمكة المكرمة بتاريخ : ١٣٩٤/٣/٤ التى دعت إليه جامعة الملك عبد العزيز

لقد كان للأدب دوره البارز ، وأثره المشهود فى تخليد الأماكن والبقاع والآثار ، وتنضيدها تماثيل خالدة فى متحف الخلود ، ونقوشا زاهية فى أروقة التاريخ ، وتنسيقها زهوراً أبدية ينداح شذاها فى دنيا الفكر وعالم الجمال .

ان الأدب ـ كسائر الفنون الجميلة ـ ينبوع من الجمال ، ودفق من الانسانية الراقية ، وفيض من تطلعات الانسان الى البقاء وخلود الاسم وسطوع الذكر ، والاحتفاظ بالصورة المشرقة فى زهو العمر ، وروعة العمران للبنيان ، وجمال الأشياء ، مانطقت الكلمة ورسم الحرف .

اننا اذا قرأنا الياذة (هوميرس) نشاهد من خلال ملحمته (طروادة) الخالدة فى جلال عمرانها وروعة بنيانها ، وصور أبطالها ، نشاهدها ماثلة أمامنا وسورها العتيد وأبراجها الشامخة ، وطرازها الأغريقى الفريد .

ولا طالعنا تاريخ الرومان وحروبها وفتوحاتها ، الا ورجعنا الى شعر (فرجيل) لنتملى صوره الأدبية ، وفرائده البيانية . ولا (حرب البسوس) أو حرب (داحس) (والغبراء) الا ودفعنا حب التطلع لمواقع تلك الحروب القبلية فى أشعار (مهلهل) و (ابن حلزه) و (عمرو بن كلثوم) و (زهير بن أبى سلمى) وغيرهم .

ولا درسنا مغازى (الرسول) ، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، الا واشتقنا لصور تلك المعارك . وموقعها فى أشعار (حسان بن ثابت) و (عبد الله بن رواحة) . ويطول الحديث لو أردنا الاستقصاء .

ولا نذهب بعيدا فهذا ايوان (كسرى قد جلاه لنا » أبو عبادة البحترى فى سينيته الخالدة كأروع ما كان فنا وبنيانا ، ونقوشا زاهية ، وصور رائعة ، بألوانها وزخارفها .

أيها السادة الأجلاء :

لقد وضع (لامارتين) بحيرة (بورجية) فى منصة الفنون وجلوة الآداب العالمية فعرفها لكُثرٍ من قراء الدنيا .

ومعذرة فى عرضى على أفكاركم النيرة معلومات أنتم أعرف بها وأكثر دراية وعرفانا منى .

سـادتى :

ان كتب (البلدان) زاخرة بشواهد الأشعار ، حتى لكأن الشعر خاصة ـ هو المعرف بالأماكن فى جزيرتنا العربية بل فى سائر وطننا العربى ان لم نقل تجاوز ذلك الى كثير من وطننا الاسلامى .

وعلى سبيل المثال ، يوجد مورد ماء ، بين (غضور) و (رَمان) شرق سميراء متواريا فى منعطف التاريخ ومنزويا فى عتمة الزمن ، لولا الأدب لما وعت اسمه ذاكرة أحد من الناس ، وانما بعد أن لمسته عصا الشعر السحرية ، ولحظته عناية الأدب ، فاذا به معرفة بعد ان كان نكره ، ونابه بعد أن كان خاملا منذ قال فيه (أبو القمقام الأسدى)

أقرأ على (الوشل) السلام وقل له	كل المنازل مذ هجرت ذميم
سقيا لظلك بالعشى وبالضحى	ولبرد مائك والمياه حميم
لو كنت أملك منع مائك لم يذق	ما فى فلاتك ما حييت لئيم

وحسبنا هذا الشاهد المعروف لذلك الموضع المجهول من آلاف الشواهد فى الأدب العربى .

أيها السادة الأجلاء :

ان للمخلاف السليمانى ـ منطقة جازان ـ مكانته فى الأدب العربى قديماً وحديثاً ـ كسائر أجزاء جزيرتنا العربية . لقد خلد الأدب أماكنه الجغرافية ، وصدحت قيثارته فى مغانيه بأغانى ترقص النسمات وتعطر الأجواء ، وشعر كعرائس الأحلام خلف ستائر الشفق ، وكلمات شفافةٍ كالأشعة متوهجةٍ بنصاعة البيان ، ووضاءة المعانى ، فخلدت بشعر واحد وثلاثين شاعراً سبعين مكاناً فيما ينيف على الثلاثمائة بيت من الشعر ، رتبتها ـ أى الأماكن على الحروف الهجائية ، وبعد هذا التمهيد يسعدنى أن أتقدم بمحاضرتى أو على الأصح استعراضى لما ورد فى الأدب العربى عن الأماكن الجغرافية فى منطقة جازان .

حرف الألف

أبو دنقور :

قرية بها كان يسكن أهل صبيا قبل اختطاط مدينة صبيا الحالية فى سنة ٩٥٨ هـ وفيه يقول الشاعر محمد بن جَناح الضمدى :

ونشر من أمنى دنقور وافى — ونظم من (زبيد) الشافعية

أبو عريش

مدينة أبى عريش من المدن الرئيسية فى منطقتنا : قال الشاعر الهبى أول القرن العاشر :

لم أنس أيام (أبى عريش) — حيث رياشى قد نما وريشى
حيث انتهت خلاعتى وطيشى — ما طاب لى نومى ولذا عيشى
الا بأنعام الأمير (المهدى)

وقال الشاعر عبد الرازق اليمنى القرن الثانى عشر :

عج بوادى الهضاب فى الأسحار — وترنم هناك بالأوتار
بربى (أبى عريش) حيث الغوانى — لابسات الحجول والأسوار
الصبا والصبا بها يامعنى — وطلوع البدور والأقمار
ليت شعرى بها أكون دواما — أتمشى فى حلة الجلنار

حرف الباء

البديع :

قرية البديع : قرية هن قرى وادى جازان تغنى بها الشاعر القاسم بن على بن هتيمل بأعذب المقاطع وأرخم الأنغام فى القرن السابع الهجرى فقال :

وعلى يمانى (البديع) وسفحه — خيم سقاهن الهوى وسقاه
أمحدثى بالرمل كيف عقيقه — من بعد فرقتنا وكيف ثراه
وهل البشام على غضارة أيكه — رباه من نفحاته رباه
ما كان ضرك لو حملت تحية — للأثل حى الله من حياه

وقال مخاطباً رفيق سفره ليرفق بالمطايا ولايمكنها من رؤية اثل (البديع) حتى لايجن جنونها .

أقـمْ ميلهـا ان الثقـاف تقوم — وأمهـل عليهـا ريثما تتنعم
ولاترهـا أثـل (البديـع) فانها — تحـن الى أثـل (البديـع) وترزم
تعـاصى البـرى أعناقهـا فرؤوسها — تأخـر عنهـا والصـدور تقدم
ومـا الـركب الا ناطـق مترنم — عليهـا والا صامـت متهمهم

***

وقـال :

أراني ونضـوى أن ثنـا (الأثـل) معرضا — يحـن الى أثـل البديـع ويشهق
تبـارى خطـاه الطـير وهـو مقيد — فكيف به فى سـيره وهـو مطلق
وان الميـاه الـلاء تحـت ظلاله — يغص لهـا بالماء ثمـة يشرق

ومن رأى منظر الأثل على عدوتى الوادى وبين الأراضى الزراعية وحول القرية عذر الشاعر على تعلقه وقال :

بعيشـك ياعلى فليس بدعاً — تطـاول بى عسـاك ترى « البديعا »
اذاك الأثـل مخضـلا أصولا — على عهـدى ومخضراً فروعـاً

وما ألطف قـوله :

أعنـدكما عن العلمـين علمٌ — وعـن خيـم (البديـع) أهُـنَّ هُنَا
وعـن عذاب (البشـام) هل الـ — نعامـى تلف هبوبهـا غصنـاً وغصناً

ونختتم ما اخترناه لهذا الشاعر المواطن وما شغفه من أثلها وبشامها ونسيمها وأغصانها بهذين البيتين وقد شجاه وميض البرق ولمعانه الخاطف فقال مستسقياً للبديع وأثله وما حوله من معاهد ومغانى وقوله :

مـا ترى البـرق بالعشـاء اذا قـ — ـد ، قميص الدجـى أراك الأراكا
فسقـى (الأثـل) فـ (البديـع) فـ (ديـ — ـيـاج) فـ (الرمـل) فـ (الدكداكا)

بـــلاج :

واد صغير يلتقى بوادى جازان جنوب قرية القمرى

قال الشاعر ابن هتيمل :

فتنى (قاســم) فأظلمــت الدنيا بهــوى سراجهــا الوهاج
كنــت أروى من لجــه الزاخــر العــ ــذب ، فمــن لى بحســوة من (بلاج)

بيـــش :

أكبر واد فى المنطقة قال أبو دهبل الجمحى :

اسْلَمِــى أُمَّ دهبــل قبــل هجرى وتقــص من الــزمــان ودهــر
واذكرى كَرِىً المطــى اليكم بعدمــا قد توجهــت نحــو مصر
لا تخــالى انــى نسيتــك لما حال (بيش) ومــن به خلف ظهرى

وأبو دهبل الجمحى لبعض الأماكن ـ فى المخلاف السليمانى ـ نصيب فى شعره وقد استفتح بعض قصائده باسم (بيش) اذ يقول :

أمــن آل سلمــى الطــارق المتأوب ألـم و (بيش) دون سلمـى و(جبجب)

وقال ربيعة اليمن يخاطب الملك الصليحى :

ضممــت الى الوقائــع يوم (بيش) فكان أجلهــا يوم السباق

وقال أيضا قارنا مع (بيش) اسم بلدة (الزرائب) بلدة الشاعر عمارة بن الحسن الحكمى المعروف باليمنى يمدح الصليحى :

فصبحــت (بيشــا) و (الزرائــب) والقنا وكل كمــى فى هــواك مســـارع

وقال الشاعر بن هتيمل مخاطبا عامل الملك المظفر :

وغــدت بكم (بيش) عروســا بضة معشوقــة الخلــوات بكرا ناهدا

وقال الجراح بن شاجر الذروى فى القرن العاشر :

وقاتــل من بيش الخصيــب قبائل عوائدهــم مشهــورة ما لهــا حجب

بيـــض :

وادى بيض من أودية شمال المنطقة على طريق جازان أبها ولا ينقطع ماؤه حول تلك الطريق شتاء وصيفا . قال بديل بن عبد مناة :

ونحـن منعنـا بـين (بيض) و (عتود) الى خيف رضـوى من مجـر القبائل

(حـرف التاء)

تعشـر :

واد مشهور من أودية جنوب منطقتنا قال محمد بن سعيد العشمى :

ألا ليـت شعـرى هل أبيتـن ليلة بـ (تعشر) بـين الاثـل والركوان

(حـرف الجيم)

جـازان :

المدينة الساحلية ـ قال أبو دهبل الجمحى :

سقـى الله (جازانـا) ومن حـل واديـه وكل مسيـل من سهـام وسردد

وقال الشاعر ابن هتيمل :

واقدمـوا وصـدور الخيـل جانحة عن التقـدم ميـلا يوم جازان
مثـل الأسـود الضـوارى فى سروجهم أسـاد بيشـة أم أسـاد خفان
مـن كل أروع مطعام اذا نزلت به الضيـوف شبيـه الرمـح مطعان

وقال الشاعر محمد السنوسى وقد زار الظهران يتشوق الى وطنه :

من الساحـل الشرقـى الى الساحـل الغربى
أبـث تحياتـى الى الأهـل والصحب
اليهـا الى جازان ريفـا وشاطئا
وغابـا ووديانـا من (البـرج) لـ (الدرب)
اليهـا الى اغوارهـا ونجودها
وأشجارهـا والصخـر والبحـر والعشب
اليهـا الى ذاك الثـرى وهـو نائم
على التبـر فى أحضانهـا الفيـح والخصب

وقال الشاعر محمد العقيلى :

جازان انى من هواك لشاكى فتنصتى لهزارك وفتاك

الى أن يقول:

ولقد نظرت اليك نظرة شاعر سامى الخيال مدله بهواك
يرعى شواطئك الجميلة هاتفا ومغردا بجمالها وصباك
يجلو المساء على بحارك فتنة رقصت لها الأمواج فوق رباك
وهجا من الشفق المذهب قد جرى تبرا يشع على سماء فضاك
وتلألأت نور الأشعة فضة ذابت على حمر الصخور هناك
فبدا بها (قوز الشويعر) باقة بيضاء قد رفت على يمناك
وتبرجت فيك (العشيا) غادة قد زان فاتن حسنها شطاك
فتنت بمسحور الرؤى فى شاطىء كاطار رسم للجمال حواك
فزهت رمال الشط وهى ندية برشاش رغو الموج فوق رباك
وهفا النسيم على تلالك وانيا متعثرا يدنو للثم ثراك
وكأنما الأمواج حين تدافعت قبل طعن على أغر لماك
فجلت مفاتن لا الخيال بقادر تصويرها أو أن يحيط بذاك
فلأنت ملهمة البيان لفنه وقصيدة عنه الوجود رواك ..

ويروق لى أن اورد هذه الأبيات الغنائية للشاعر محمد السنوسى :

جازان يا درة الجنوب الباسم الناعم الخصيب
البحر والصخر فيك زهو بنشوة السحر فى الغروب
والليل والبدر فيك يلهو على رؤى الشاطىء الطروب
عروسة الشعر والأغانى ومنية النفس والقلوب

جازان الأعلى :

المدينة التاريخية المندرسة التى لا تزال أطلالها ماثلة تتحدث عما كان لها من ماض مجيد - راجع ما كتبناه عنها فى كتبنا (المخلاف السليمانى فى التاريخ) صفحة ١٧٣ جزء ١ و (الجراح بن شاجر من صفحة ٣١ الى ٤٩ و (المعجم الجغرافى) صفحة ٧٠ ويطلق على تلك المدينة (جازان الأعلى) واسم (الدرب) و (درب النجاء)

قال الشاعر ابن هتيمل يصف مناعة وتحصينات وحصون تلك المدينة :

اذا ما رماح الخط لم ترذ هاربا الى (الدرب) أردته رماح المكائد
وما خلفه من صحن صرح ممرد وكان لشيطان من الجن مارد

ويلاحظ أن الشاعر قد جارى ما كان يقوله العرب فى الجاهلية عن نسبة كل ما يهولهم ويبهر عقولهم الى الجن والمردة والشياطين .

وقـال :

وأدلـج فى بروج (الـدرب) يهوى الى السلبـين من أهـل ومال

وقال الشاعر الجراح بن شاجر يصف روعة العمران فى تلك المدينة وقلعتها المشهورة فى الجنوب والمسماه (الثريا) .

والقبـة البيضـاء بالقصر الذى فى (درب جازان) المنيـع حِماهُ
وتـرى (الثريـا) كـ (الثريـا) سمكها عال ، على شهـب السماء علاه
غــرف حكت غرف الجنـان وفاخرت بجمالهـا قمـر السما وسناه

وقال وقد أقبل على المدينة من الناحية الشمالية ، يصف قصورها التى ينعتها بالخالدية نسبة الى (خالد بن قطب الدين) مؤسس الامارة القطبية فى المنطقة فى القرن التاسع :

حـين قابلـت (درب جازان) لاحت وبـدت لى قصـوره الخالدية
ورأيـت الديـار تسطـع نورا من جلال الأسرة المهدية

ويقول من قصيدة جميلة عنوانها :

يـا نسيـم الجنـوب قل للمليحة ما لتلك العهـود غـير صحيحة

مشيرا الى تلك الدور العديدة والمغانى الفسيحة مؤكدا ما أسلفه :

وسمعنـا النـداء من كل (دار) مرحبـا فانزلـوا المغانـى الفسيحة

ويقول فى قصيدة أخرى يصف قصور تلك المدينة ورياضها الغناء مخاطبا أميرها الذى طالت غيبته فى احدى غزاوته :

أتـدري بمـا لاقتـه تلك الملاعب ومـا كابـدت أبطالهـا والكواعب
ومـا نال (جـازان) الخصيـب وأهله لفقـدك يا من فى الاقامـة راغب
وتلك الريـاض الضاحـكات زهورها ذوابـل والانـوار فيهـا غياهب
وتلك القصـور المشمخـرات لم تزل تغالـب فيـك الشـوق ، والشـوق غالب

ويؤكد لنا في قصيدة ثالثة قصور المدينة وحدائقها الزاهرة اذ يقول :

فترى القصور تكاد ترقص فرحة والزهر في الأكمام يضحك معجبا
ونزلت في القصر الذى غرفاته لو أنها نطقت لقالت مرحبا

ويقول ايضا في عيدية له في مدح الأمير :

ثم انثنيت الى المدينة راجعا ودخلت قصرا بالجمال مشيدا

وقال في قصيدة مخمسة :

أما ترى القصر العظيم المشيد أنواره كل غد في مزيد
تفضح أنوار قصور الجنان

أن ترديد الشاعر في أشعاره وصف قصور مدينة جازان الأعلى وحدائقها لاشك أنه نتيجة إعجاب أثار انفعالاته وأيقظ أحاسيسه ففاض به شعوره شعراً يموج بالظلال ويتألق بالأضواء وفيما بقى من أطلال تلك المدينة التى توالت عليها المحن والغارات والدمار والتخريب المتعمد طيلة قرن من الزمان - فيما بقى بعد كل ذلك من أطلالها شاهد بما كان لها من عمران وماض مجيد ونودع ما أوردناه بما قاله ذلك الشاعر :

وأنت ياراكب الوجناء ناجية تطوى المهامه كثبانا وغيطانا
دعها تجوب الفيافى والفدافد من (جازان) حيا الحيا الوسمى جازانا

الجروب :

تلك القرية الصغيرة الغافية في حضن جبل عكوة وقد نفحها الشعر بنسمة عطرة لايزال يعبق شذاها منذ سبعمائة سنة .

قال الشاعر ابن هتيمل من قصيدة غناء وقافية راقصة :

بان عن عذره سواد عذاره إذا ازار الشباب تحت ازاره
يالقومى لم لايزال من الحب قتيل ، لايطلبون بثاره
مادمى في طلى الرجال ولا عند عزيز أطله بمغاره
في خصاص النِّقاب من فتن الأعين من خصره ومن زُنَّاره
قمر أطلعته في فلك الأزرار ، أطواقه على أزراره

يُقطف الورد بالنواظر من خـ ـديه ، بين احمراره واصفراره
ان من دمنة (الجروب) إلى أيـ ـك (الحسينى) من شآمى داره

جورا :

وادٍ معروف وهو الفرع الثانى لوادى ضمد ، ويشكل مجراه أروع مجرى فى طريق صبيا - عيبان - بنى مالك . إذ يتلوى كالثعبان على طول تلك الطريق فما سرت قليلا إلا وقابلك ذلك الوادى تارة مقبلا من الجنوب وأخرى من الشمال ومياهه الصافية تتعثر فى حصى الوادى فكأنما عناه أبو الطيب بقوله :

وأمواه يرنُ بها حصاها رنين الحلى فى أيدى الغوانى

وفيه يقول الشاعر محمد العقيلى :

جورا ما أحلاك فى ناظرى فى ألق البدر وضوء الصباحْ
وياسواراً لولبياً على معصم وادٍ كوثرى القُراحْ
وماؤك الرقراقُ يجرى على حصباء درٍ كعقود الملاحْ
يختال فى خضراء موشيةٍ بالنبت والعشب وزهر الأقاحْ
وَيستحم النجم فى مائها فيرقص البرق وتهفو الرياحْ
مواكب للحسن يشدو لها البدر ضياء ويغنى الصباحْ

* * *

(حرف الحاء)

الحسينى :

قرية على عدوة وادى صبيا الشمالية . قال الشاعر ابن هتيمل :

كلما سرت فى الحسينى والأثل شجانى من الحسينى شاج

وقال :

فمن لى بقلب لايمن مليكه عليه ويستحييه فى الأسر آسره

إذا الغيث أرخى مرجحنّ سحابه على بلد أو أمطرته مواطره
فراحت على أرض « الحسينى » أوسرت روائحه أو باكرته بواكره

حضـــران :

دمنتان كانتا شمال ضَمد بنحو ثلاثة أميال ، قال الشاعر ابن هتيمل :

أحْبِب الى بساكنى نجدِ وبنشر ذاك الشيح والرند
يادمنتى حضران مافعلت ريح المصايف فيكما بعدى
نسفت ترابكما فلاح لنا طلل الديار كمنهج البرد
ولربما كانت تحل به ريًا البرين رشيقة القد

وقـــال :

حدثه عن ساكنى الوادى ومافعلت من بعدنا سرحة الوادى ومافعلا
وكيف حى بـ (حضران) عهدتم ومن أقام به بعدى ومن رحلا

جبلا حيـــاد :

لايعرف حاليا ، وإنما تعرف قبيلة باسم آل حياد من قبائل بنى الغازى ، قال ابن هتيمل :

وسل إن شئت عن جبلى حياد وعمن حل فى جبلى حياد
اذاك (الرند) تغبقه السوارى بادمعها وتصبحه الغوادى
وذياك النسيم الرطب تطفو علائقه على الماء البراد

(حرف الخـــاء)

خلـــب :

من أودية المنطقة المشهورة قال الشاعر عبدالرحيم البرعى ـ القرن العاشر ـ من قصيدة يصف رحلته إلى الحج ويذكر بعض أودية المنطقة التى اجتاز بها :

طوت بهم المراحل فى الفيافى   قلائص تذرع الفلوات كوم
إلى حرض إلى خلب تراءت   ومن جازان جازت وهى هيم
ومرت فى ربى (ضمد) و (صبيا)   ولؤلؤة وغوان تهيم

(اللؤلؤة) قرية من قرى الدرب (درب بنى شعبة) أورد اسمها (الخزرجى) فى العقود اللؤلؤية فى مغازى الرسوليين فى القرن الثامن الهجرى ، ولازالت تعرف بهذا الاسم . و (غوان) هو وادى الشقيق ، وهو غير (غوان الوادى الذى مجراه جنوب قرية المحلة) .

(حرف الشين)

الشرجة :

مدينة مندثرة كانت تعرف بهذا الاسم ـ مجردا ـ وبعض المؤرخين يورد اسمها مضافا فيقول (شرجة حرض) تمييزاً لها عن (شرجة سردد) و (شرجة زبيد) و (شرجة حيش) ـ راجع بحثنا المنشور فى مجلة العرب مجلد ٩ السنة الأولى بعنوان أبحاث جغرافية . قال أبوالجياش الحجرى بن الهنو ، مستسقيا الغيث لجنوب الجزيرة من (حضر موت إلى وادى قنونا) .

فقرى (مور) فـ (القريضة) والشرجة   فـ (الواديان فـ (السلعاء)
فادلهمت على قرى (حرض) يومـ   ـين بالسح مزنة سوداء
سقيت برهة قرى (خلب) منـ   ـها فـ (جازان) تلك و (الصبياء)
فقرى (بيش) فـ (الدويمات) فـ (البـ   ـرك) فـ (حلى) ممطورة غيناء

الشقيقة :

أورد اسمها الهمدانى ضمن قرى المخلاف بعد الشرجة صفحة ١٨٨ . قال الشاعر ابن هتيمل :

امطارحي ، رد التحية قل لنا   كيف (الشقيقة) والطلول الهمدى

وقال :

وهل سقى الغيث حوذان (الشقيقة)   فاخضلت أعاليه واخضرت أسافله

شهـــدان :

على صيغة مثنى شهد الذى هو العسل ـ بالفتح ـ واد من أودية المنطقة ، يلتقى بوادى وساع قرب قرية ابى القعايـــد :

قال السلطان سليمان ابن أبى الحفاظ الحجورى :

ولانكلـت وأفـراسي مفـــرقة مابين (حيس) إلى (بيش) و (شهدان)

صبيـــا :

واد ألهم غير شاعر ـ قديما وحديثا ـ روائع من الشعر الخالد .

قال الأمير القاسم بن على الذروى ـ القرن السابع ـ من قصيدته المعروفة التى أنشأها وهو فى سجن الملك المظفر الرسولى بـ (تعز) :

مـــن لصـــب هاجـــه نشر الصبا لم يـــزده البـين إلانصـــبا
وأسـير كل مالاح له بارق القبلـة من (صـــبيا) صبا
ياأخلائـــى بصــبيا واللوى وأحبائـــى بتيـــاك الـــربى
هـــل لهـــا نحـــوكم من عودة ونـــرى ســـدركم والكثبـــا
فلـــكم حاولـــت قلبـــى جاهدا يتســـلى عن هـــواكم فأبى
واذكروا صبـــاً بكم ذا لوعـــة بان عنـــكم كارهـــا مغتصـــبا
وإذا ماســـجعــت قمـــرية صاح من فرط الجـــوى واحـــربا
لاتنسُونـــا وإن طـــال المـــدى كم نوى بعـــد بعـــاد قـــربا
وإذا ريـــح جـــوب جـــنبت فاسألوهـــا كيف حـــال الغـــربا
فلـــديهـــا من تنـــاهـــى لوعـــتى وغـــرامـــى مايحـــطّ الشـــهبا

وقال العلامة محسن بن عبدالكريم بن اسحاق يشيد بشخصية كريمة سكنت مدينة صبيا فى أواخر النصف الأول من القرن الثالث عشر .

شرفـــت (صـــبيا) بكم فغدت منـــزلا للعلـــم والنـــزل
ليت شعـــرى ما الـــذى فعلت فعلـــت قـــدراً على زحـــل

وقال الإمام محمد بن على الأدريسى أثناء ارتحاله إلى مصر لطلب العلم متشوقا إلى صبيا وربوعها الغنـــــاء :

ولى الزمـــان ومـــالى نحـــوكم سبب وليس لى فى سواكم سادتـــى أرب
وان يعقنـــى الهـــوى عن أن أســـير إلى حى اليه بديع الحســـن ينتسب

حييت سارٍ قضى الرحمن لابرحت ... نفسى اشتياقاً إلى مرآه تضطرب
فيا لأهل الحمى أن يَرْفُقُوا بفتى ... روح له بذلت فى الحب لا نشب
يهوى أحاديثهم وهى الشفاء بـ ... ـل الراح الذى لابها غول ولاعطب
تهدى فهل لك فى روض مناظره ... زبرجد وحصاه الدر والذهب
قد فاق حسنا فناجتنا بلابله ... على منابر أغصان لها خطب
منى إليهم تحيات فواتحها ... كما خواتمها الأنوار والقرب

وقال أيضا وقد بعثها إلى والده بصبيا من مصر :

الا ان قلبى لاينهنهه العذل ... ونفسى غدت عمن تحب فلاتسلو
فكفا عذولى الملام فاننى ... أصم ولى فيما عنيت به شغل
ولاترميانى بالجنون فليس بى ... جنون ولكن فى الهوى يؤسر العقل
الا مالقلبى سلوة عن معاهد ... بشرق (الغرا) حيث المرؤة والنبل
بها القلب فى دين الهوى قد جعلته ... شعوباً ودمع العين راوٍ له نقل
أنواح إذا البرق اليمانى لحته ... كما أن سرت ريح الجنوب لها رسل
نداماي من تلك المعاهد هل لنا ... دنو وهل يصفو الزمان وهل يحلو
وهل لى رجوع للحمى ورياضة ... ومشربها العذب الزلال له نهل

الغـــــراء :

ضاحية من ضواحى مدينة صبيا .

وقال وقد بعث بها من مصر إلى أستاذه بـ(صبيا) الشيخ العلامة سالم بن عبدالرحن باصهى :

ربع عهدناه بالأحباب معمورا ... جعلت قلبى على مغناه مقصورا
فيا لقلبى وللسلوان عاد له ... وفى طريق الهوى قد راح مسحورا
ياساكنى السفح من صبيا على أكمٍ ... بكم غدا لتجلى (الهوى) طورا
أنى بغربيه صدقا أحدثكم ... يوم الوداع جعلت القلب منحورا
لابارك الله فى الدنيا وزهرتها ... ان لم أنادم من (صبياى) مشكورا

وقال وبعث بها إلى صبيا لوالده من مصر :

أتلك بروق ما أراها لوامعا تضيء بدوراً أوشموسا طوالعا
أم النور من صبيا سرى متألقا فحيا فؤادا كان بالحب والعا
ونفحة ود مابدت بأريجها تفوح عبيرا ظل فى الكون ذائعا
أحبتنا من ساكنى السفح إننى على حبكم الفيت قلبى مطاوعا
وعن عهدكم ماقط أصبحت ساليا وتبّاً لمن يسلو الهوى والمرابعا

وقال العلامة الشيخ عبدالرحمن القديمى فى سنة ١٢٣٠هـ :

ألاحى حى الرشد من ساكنى صبيا وبلغهم شوق العميد إلى اللقيا

وقال العلامة الشيخ محمد ابراهيم الحشيبرى سنة ١٢٣٠هـ :

سرى برق نجد فاستضاءت منازله ومن نحو صبيا قد نشأن زواجله
فأعجب له من ضاحك قد بكت له سواكب مزن قد هطلن هواطله
فحرك شوقا لاعجا فى جوانحى وهيمً قلبا هيجته بلابله

وقال الشيخ عبدالعزيز بن محمد الغامدى فى سنة ١٣٢٩ هـ :

وقل عفا الله عن (صبيا) وساكنها وان يديم المعالى فى مساكنها
مادام يقرأ دوما فى أماكنها قول الذى عز عن ضد وتقسيس

وقال محمد العقيلى :

فى شط صبيا وتحت (السدر) و (الطنب) مرأى من الحسن والابداع والعجب
زمردّى الحواشى حيثما نظرت عيناك منه بدا فى منظر رغب
حيث الطبيعة لم تعبث بفطرتها يد المشذب فى كل شكل من اللعب
بين المزارع حيث الأرض قد لبست من سندس حلة فينانة الهدب
بين المروج غداة الطل باكرها مكللا هامة الأغصان والعذب

* * *

فى ضفة الوادى حيث الشط تربته (حصباء در على أرض من الذهب)
والماء يطفح قد طمّت غواربه شم الروابى والآكام والكثب
ينساب كـ (الصل) فى أحشاء مخضلة موشية بطراز الزهر والعشب
تقلدت منه (صبيا) عقد غانية فى جيد مشرقة الأطواق واللبب

* * *

ياحبذا البدر قد فاضت أشعته على الغدير وماج الماء بالشهب

وقـد بدا من خلال الغيم مؤتلقا على الهضـاب وبـين الحـزن والسهب
يمـجّ ذائـب (مـاس) من أشعته فى لجـة الـواد أو ذوب من اللهب

* * *

وغابـة (السـدر) تبـدو فى جلالتها شماء سامقـة الأفنـان كالقبب
مـن كل عارية الأسـواق كاسية أضفـت على وجههـا سـترا من الحجب
تقنعـت بصـفيق الخـز واشتملت مطارفـاً من نسيج الغيث والسحب

* * *

والشـمس من خلل الأغصـان ناظرة كليلـة الطـرف فى دل وفى غضب
فاضـت أشعتهـا كالتبـر ذائبة على نثـير دمـوع الطـل فى القصب
يذرى النسيم جمانـاً من معاطفها يحـكى سقيط دمـوع (الخـرد) العُرب

(حـرف الضـــاد)

ضمــد :

يطلق على الوادى المعروف على وجه العموم كما يطلق على البلـدة الـرئيسية فيه قال الراجز :

واهـاً لقـوم غالهـم صرف الردى والتحقـوا بـ (ضمـد) أو بـ (صدا)

عتـــود :

من أودية شمال منطقتنا ويقول ابن دريد أنه لايعرف على وزن فعول إلا (عتـود) و (خروع) ويقول بعضهم يوجد غير ذلك قال ابن مقبل :

جلوسـا به الشـم الطـوال كأنهم أسود بـ (تـرج) أو أسـود بـ (عتـودا)

عـــثر :

يطلق فى التاريخ على مخلاف يمتد من شمال صبيا إلى حمضه ، كما كان يطلق على مدينة تاريخية نسبت إلى مخلافها أوالمخلاف المذكور اليها ـ راجع صفحة ١٥٤ ـ ١٥٩ من كتابنا (المعجم الجغرافى لمنطقة جازان) .

قـــال الشاعر :

ليث بـ (عشـر) يصطــاد الرجــال إذا ما القـرن كذب عن أقرانــه صدقا

وقـال عروة بن الـورد :

تبغانـــى الأعـداء إمــا الى دم وإمــا عرض الساعــدين مصدراً
يظــل الابــاء ساقطــا فوق متنه له العـدوة القصــوى إذا القــرن أصحرا
كأن خـــوار الرعــد رز زئيره من الـلاء يســكن الغــريف بـ (عثرا)

العـــداية :

قرية من ضواحى مدينة صبيا . قال عمارة بن الحسن الحدقى المعروف باليمنى :

قبـر لـ (يحيى) بأكنــاف (العــداية) لم تؤنســـه أحــداث أبائـــى وأجدادى

عكـــوة عكــاد :

عكوة جبل مشهور شرق مدينة صبيا ، ورد اسمـه فى نقش أثـرى للملك السبئى (شمر) يهرش سنة ٢٧٦ ق . م . أما عكاد فلايعرف ـ فى الوقت الحاضر ـ جبل بهذا الاسم حول جبل عكوة أو فى مستوى ارتفاعه بالنسبة إلى جبال السهول ، وإنما يوجد على مائة كيلا شمالا جبلان صغيران يسميــــان العكادين .

قـــال الراجز :

إذا رأيت جــبلى عكـــاد وعكـــوتـــين من مكـــان بـاد
فابشـــــرى ياعـــين بالرقــــاد

وقـال الشاعر ابن هتيمل :

إذا ذكرت فى سفـح (عــكوة) خيمة شأى البـرق سبقـا معجهـا ووجيفها

العـــميم :

موضع خلده الشاعر ابن هتيمل فظل يتألق فى سماء الادب ويتردد اسمه على لسان الشعر منذ ثمانمائة سنة من امحاء رسمه ودثور مكانه ، وقد حدثنى الشيخ أحمد بن حسن عاكشى ، أن العميم كان يطلق على دمنة فيما بين قرية (خضيرة) وبلدة (ضمد) .

وأيضا يوجد واد من روافد وادى صبيا اسمه (عمم) يلتقى بالفرع الثانى لوادى صبيا شرق المكان المعروف بـ (المجمع) ولانستطيع الجزم هل هو (الدمنة المندثرة) أو أنه اسم ذلك الوادى بعد أن لحقه شيء من التحريف .

قال الشاعر ابن هتيمل مخاطبا فتاة أحلامه أوعروس شعره :

سقى (العميم) حيا الغمام فلم تزل مشتقة رياه من رياك

وقال :

لعل الريح إن هبت هبوبا وإن عبرت شمالا أو جنوبا
تسوق الى (العميم) من الغوادى غمائم كى تشق بها الجيوبا
وتحمل من شميم الريح نشرا يكون نسيمه للطيب طيبا

وما أرق قوله مستفهما عن ذلك الموضع الرغيب .

عسى لك عن خيام الغور علم فتخبرنا بمن سكن الخياما
وهل شيح (العميم) تميس تيهاً ذوائب شيحه تسقى الغماما

وما أعذب قوله وهو يستسقى الغيث لبانتى العميم وليس بدعا أن يستسقى الشاعر الغيث لمواطن حبه ومراتع لهوه وإنما الغريب أن يطلب ذلك ولو من دمه فلننظر إلى قوله مناديا :

فيا بانتى سفح (العميم) سقاكما ولو من دمى - يا بانتان غمام
كأنّ قوام (المالكية) فيكما لهذى قوام ، أو لتلك قوام

وقد جاء هنا بعكس التشبيه فبدلا من أن يشبه قوام حبيبته بالبان شبه البان بقوامها وهذا كقول (ذى الرمة) :

(ورمل كأوراك العذارى قطعته)

ولنختم ما أوردناه عن (العميم) بهذا التحذير لذلك الشاعر وأعتقد أنه تحذير بعد تجربة قاسية .

اياك ، اياك (العميم) فانه ضريت[1] جآزره بصيد أسوده

---

(١) من الضراوة : يقال : أسد ضارٍ .

عوســـجة :

قال ابن هتيمل :

ولاسلـوت - وأرض الله واسعة بأهـل (عوسجـة) عن أهـل (نجران)

ونجران هى بالطبع غير (نجران) المعروفة فى التاريخ والتى هى جزء من وطننا السعودى وإنما هو اسم كان يطلق على قرية من قرى ضمد بنيت على أنقاضها قرية مختارة ضمد .

الغريـــف :

يطلق اسم الغريف على عدد من الأماكن منها (الغريف) فى جهة (الحضن) من بيش و (الغريف) قرية حول (المحلة) كما يطلق أيضا على موضع شرقى جبل عكوة .

قال الشاعر ابن هتيمل يمدح عامل الملك المظفر :

فنفيت منهـا الخالعـين وقـد خلا منها (نمـازة) و (الغـريف) و (عتود)

غـــوان :

هو وادى غوان الذى مجراه جنوب قرية (المحلة)

قال ابن هتيمل :

وهـم أعدمـوا أرض السحـان فليته الى أن خلا (غونهـا) و (غريفها)

(حرف الفـــاء)

الفلجين :

على صيغة المثنى ، موضع نقدر أنه فى جهة (ضمد) موطن الشاعر ابن هتيمل الذى يقول فيه :

وبمسقـط (الفلجـين) دار لم تزل عبـق النسيم يهيج لى ذكراها
بـكرت لهـا مرضى الـرياح وواصلت نطف الغمام رواحهـا وسراها

وهل ما هو أفعل فى نفس المحب الولهان من النسيم العليل المشبع بالشذى العاطر فى الجو الغائم البليل ؟

وقـــال :

وبمسقـط (الفلجـين) دار لم تزل رسـم الصبابـة من فؤادى مذعفا
محـت الـرياح طلولـه فكأنما أبقـين من زبـر الأوائـل مصحفا

فيفـــاء :

الجبل المعروف فى ربوع منطقة جازان ويطلق عليه اسم لبنان تهامة . قال الشاعـر صلاح بن عبدالخالق جحاف القرن الحادى عشر :

فتحتهـا عنـاية الله ذى الملك وتصـميم همـة قعساء
قلعـة فى السماء لايرتقيها غـير فتخـاء لقـوة شغواء
هــو أعلى من حصـن كيفـاء شأناً أين فيفـا فى الحسـن من كيفاء

وقال الشاعر الفيفى المعاصر على بن حسن الفيفى :

أنـظـر لفيفـا روضـة خضـراء مثمـرة الحقـول
تختـال فى تيـه ، وتزهـ ـو ، بالـزهـور وبالخميـل
بـروجهـا الخضـراء بالمـ ـاء القـراح السلسـبيل
بحـدائـق الليمـون بالرمـ ـان ، بالـظـل الظليـل
بخمـائـلُ قـد طـوقت (فيفـاء) فى عرض وطول
بـالماء منهمـرا يوشـوشه النسـيم مع الأصـيل
ياروضـة خضـراء مالـ ـك ، فى الجـزيرة من مثيل

* * *

وقال الشاعر محمد السنوسى :

متحف من أشعـة وظلال فى اطـار من نضرة واخضلال
سابـح فى الفضـاء يغمـره النـ ـور ، بفيض من السنـا والجلال
صنعـة المبـدع المصـور جل اللـ ـه ، ربـى رب العلى والكمال

جبـل تعشـق النجـوم مجاليـ ـه ، وتصبـو إلى ذراه العوالى
مشرئـب إلى السماء برأس صلف فى شموخـه متعالى
أخضر السفـح أزهـر السطـح مصقـ ـول ، الحواشى زاهـى الربـى والتلال
ولتلك الـذرى الموشـاة بالزهـ ـر ، نضـيرا وبـالثمار حوال
ولتلك الربـى يرف شذاها بعبـير الصبـا ونفـح الشمال
ولـذاك السحـاب والماء يجرى من خلال الصخـور جرى الصلال
سحـر كلهـا نهـار وليـل يالأيامـه ، ويا لليـالى

* * *

وقال الشاعر محمد العقيلى :

(فيفـاء) هل لى بأن أجلـوك للفكر فى معـرض الفـن كالرسـام للصور

* * *

إلى أن يقـول :

طـود يناغـى النجـوم الزهـر قد كسيت أرجـاؤه بوريف الظـل والشجر
يجلل الغيم أدنـى هامهـا وبها تبـدو الطبيعـة فى دل وفى خفر
دنيا من الأمـل الخـلاب سافرة عن المفاتـن تستهـوى نهـى البشر
وروضـة من رياض الخلـد قد برزت إلى الوجـود بأبهـى الحسـن والصور
تـأزرت بأثيـث النبـت واتشحت أزهـى الحلى لهـا من يانـع الثمر

* * *

ياحبـذا ليلهـا والشهـب قد سفرت عنهـا الغيوم تناجـى رائـق الزهر
والبـدر يرسـل مِن اشعاعـه ألقاً على الجـداول والانهـار والغدر
وللنسائـم مابـين المروج . شذاً . . معطـر ، كعبـير المسـك فى الطرر
وللنـدى خضـل تزهـو الغصـون به يصوغـه البـدرُ أسماطـاً من الدرر
وللمياه خرير من مساربها جس الأنامـل قد مرت على الوتر
وللغصـون حفيف خافـت همست فى مسمـع الليل همس الخـائف الحذر

* * *

وحبـذا مرجهـا والشـمس قد سطعت أضواؤهـا فى مجـالى دوحهـا النضر
وللظـلال انسجـام فى خمائلها على حفـافى ضفـاف الماء والشجر
دنيا تلـوح بهـا شتـى المحاسـن بل لوح يروقـك منـه أبـدع الصور

القعيســـاء :

موضع فى جهة الحسينى معروف بهذا الأسم إلى الآن :

قال القاسم بن على الذروى :

حبــذا أرض (القعيســا) وطنــى ولييلات بهــا ما أطيبهــا
وربــى البئــرين من قبليهمــا وزلال ، بهما ما أعــذبا

* * *

القهـــر :

ذلك الجبل الأشم الصعب المرتقى فى بلاد قبيلة (الريث) من قبائل منطقتنا .

قال الشاعر السنوسى :

قهــر (القهــر) غازيا ومغيرا وأذل العصــاة والأشرارا
جبــل شامــخ منيفُ يرى الأرض بعــ ــين ، يزور عنهــا ازورارا . . .

* * *

وقــال الشاعر العقيلى :

تأمــل فى سمــو (القهــر) وانظر جلالا شامخــا لم يحــن هامه
تفــوت الــريح قمتــه علوا ويعــى النجــم أن يعلــو سنامه

* * *

قــوا :

قريةُ غرب بلدة الخوبة ، وقوا و (السلب) و (خميعة) و (الجـوى) و (السـودة) أرياف جميلة تكون فى فصلى الخريف والربيع من أحسن البقاع فى الجنوب الشرقى من منطقتنا ، فلايشاهد المرء إلاالسيول الدفاقة والغدران الرقراقة وتكتسى الأرض حلة خضراء من الأعشاب ـ العطرية والرياحين العبقة والمراعى الفضة والجو الساحر والأفق الشاعر .

قال الشاعر العقيلى مسجلا انطباعاته ومجسدا مشاعره عنها فى إحدى رحلاته :

شذى يتعــالى بالتجلــة أو شدوا تضوع من (فيفـا) عبـيراً ومـن (عكوا)
ورن بهــا (جــازان) علــوية الشذا سماوية الأنفــاس قدسية النجوى
لهــا ومضــات البــرقِ فى كل مطلعٍ سطوعــاً ، وصــوت الرعــد مرتجــزاً دَوَى
وأنســام أزهــار الفــراديس نفحةً على الأفــق المخضــل والمنظــر الأحوى

كأن نسيم (السَلْب) يسحب رِدْنَه زكياً ، على الدوح المهدل من (قَوًا)
ويذكيه مرج (الدِّحْن) من صيمرانه المـ ـعطر ، فى سهل « خميعة » و « الجوا »

* * *

وأودية غناء زان ضفافها خمائل نافت فوق شطآنها قنوا
تخاصر أكناف الروابى وتنثنى تعانق للآكام والدوح والدَّوًا
وطلح كأشباح الأساطير فى الدجى وفى النور بحر ماج من خضرة رغوا
يطل على زرق الغيول كأنها مرايا تطريها الأزاهير والنوا

* * *

بمعتنق الحوذان والشيح دوشه[1] يميس على (الوزاب) قد ظلل (الفغوا)
ملاعب أفراس الجياد ومنتدى البـ ـطولات فى عهد الفتوة والسطوا

* * *

مرائى من الحسن البديع تراقصت على السندس المخضر والمنبع الأروى
جلتها يد البديع أروع مشهداً من الروضة الغناء والغادة الجلوى
بلابلها صداحة ويَمامها مجنحة الأنغام رفافة شدوا

* * *

(حرف اللام)

ليـه :

واد من أودية جنوب منطقتنا قال الشاعر ابن هتيمل :

أراك تناسيت الخروج ولم تعد إليه فجهز للخروج وشمر
فما دون (حلى) غير مادون لية ولادون (بيش) غير مادون تعشر

(حرف الميم)

المخلاف السليمانى :

هو الأسم التاريخى لمنطقة جازان ، راجع صفحة ٨٠ جزء « ١ » من كتاب (المخلاف السليمانى) وقد تردد كثيراً فى أشعار الشاعر ابن هتيمل وغيره .

---

(١) الدَّوش والوزاب : من أصناف الحبق والغفو زهر شجر الحناء .

قال الشاعر ابن هتيمل :

إن ضاق بى وطنى (المخلاف) أوجهلت أهلوه حقى ففى الآفاق متسع

وقال :

أغرى به الأعداء فى (المخلاف) من أغرى وأرجف منهمُ من أرجفا

وقال : يخاطب أحد هاشمى المخلاف من السليمانيين .

وارحم سليمان العريضة انها أمست ذوائبها نواكس خضعا
إنى لاعلم أن سيخرجها مـ ـن (المخلاف) مخرج قومهم من (ينبعا)

وقال :

خل أهل المخلاف عنك فـ ـقد خلى (القتادات) (ينبعا) و (الحجازا)

وقال :

تأمر فى قرى (المخلاف) لما تولى فى زبيد أو (فشال)
وظن الحرب أكلةُ زبرباج وشرب الخمر بالماء الزلال

وقال الشاعر منصور بن سحبان (القرن السابع الهجرى) :

ولا يغررك بعدك فالليالى بما ترجو وماتخشى حبالى
فبعد هجاك (مخلاف بن طرف) فلست لـ (مكة) ترجو وصالا

وقال الشاعر العقيلى :

إليك أبا عبدالاله سبيكة تحيل ضباب الدجن من نورها صحوا
لها خلجات الروح فى كل خافق ونشوة أقداح الرحيق لمن يروى
يرددها (المخلاف) أنشودة سمت يغنى بها مابين (فاسٍ إلى (نزوى)

المطلع :

كان قبل عام ١٣٦٥ المدخل الرئيسى لمدينة (جازان) وكان يبعد عن العمران بنحو ستمائة متر تقريبا ، فأصبح ـ بعد ذلك ـ داخل العمران .

قال الشاعر محمد العقيلي فى عام ١٣٦٣ :

قف بالمطلع وقوفاً ملؤه الفكر ... واستلهم الشعر يأتى القول يبتدر
فى طلعة الشمس والآفاق ساطعة ... أو الأصيل وقرص الشمس ينحدر
وملْ قليلا إلى ذات اليمين ترى ... مرأى تكاد له الألباب تنبهر
فى ظل سامقة الأرجاء مشرفة ... على السهول ووجه الكون يزدهر
والشمس ترسل من علياء مطلعها ... شعاع نور على الأمواج ينكسر
والشط يطفح منسابا على دعة ... مجعد الوجه يستدنى وينحدر
والأرض مخضلة هفت نسائمها ... والآل مضطرب الأحشاء منتشر
تلك الطبيعة فى أجلى مظاهرها ... خلابة دونها الأفهام تنحسر

* * *

المنجارة ـ الخندق ـ البيبان ـ هاله ـ السلام الروان ـ الغرا ـ بعلول ـ صبيا :

معالم معروفة على الطريق التاريخى بين (جازان) وصبيا وقد تعدل الطريق بأسباب خط الأسفلت الجديد ـ لطريق (جازان) (عسير) (الطائف) تعدل شرقاً عن الطريق الأول بنحو خمسة أكيال ـ تقريبا ـ وفى الطريق الأول معالم لعبت دورها فى تارخ المنطقة وقد تنسى تلك المعالم مع مرور الزمن وتأتى الأجيال المستنيرة فلاتجد مايهديها إليها الا بعد العناء والبحث ، وها نحن ولم تمض على تعديل الطريق إلاست سنوات وبعض الناشئين قد لايعرفها ، وقد سجل الشاعر العقيلى انطباعاته عنها فى رحلة قبل عشرين عاما فى سيارة والسيارات نادرة لدينا فى ذلك التاريخ قال :

ولما حان وقت العصر سرنا ... على (عجل) يسير بنا ابتدارا
فجاز (الخندق) المعروف وثبا ... ولـ (المنجارة) انحدر انحدارا
وفى (البيبان) هب يسف ريحا ... فجاز بـ (هالةٍ) كالطير طارا
ومر من (السلام) مرور نجم ... هوى من أفقه العالى شرارا
وأسرع فى (الروان) فلن ترى ... من كثافة جرمه إلا غبارا
وجاز على (الغرا) فى لمح طرف ... كومض البرق يستعر استعارا
ولما طل من (بعلول) يجرى ... وشاهدنا المنازل والديارا
وأشرفنا على سهل فسيح ... كأن الغيث البسه إزارا
بدت صبيا توهج فى سناها ... فنلمح من تألقها منارا

(حرف النـــون)

نجـــران :

بالطبع هو غير وادى نجران المشهور فى التاريخ بل نجران هذا هو بلد الشاعر (ابن هتيمل) من قرى وادى (ضمد) وقد دثر ذلك البلد وأقيمت على أنقاضة قرية (مختارة) راجع صفحة ٢٢٣ من كتاب المعجم الجغرافى لمنطقة جازان .

قال الشاعر ابن هتيمل :

أيقبـح فى (نجـران) من لا يحـل عليه . عنـد البيع فلس
يلجلـج نعمتـى حنـك وسن ويمضـغ جلدتـى ناب وضرس

نجران :

على اسم سابقه اسم قصر بناه الأمير الحسين بن على بن حيدر الخيراتى فى شمال أبى عريش سنة ١٢٥٧ هـ .

قال فى وصفه العلامة الحسن بن احمد عاكش :

(هو حصن حصين وعلم شامخ العرنين ، نسيم أعاليه سجسج ومصباح علاليه من قناديل المجرة تسرج) .

وقال العلامة محمد المساوى :

عليك سلام الله ماهبـت الصبا على منـزل يصبـى الشيوخ كما يصبى
أردت به (نجـران) دار إمامنا حميد المساعـى من له خالص الحب

وقال العلامة عاكش :

سقـى تربـة (نجـران) فيهـا مبكر من المزن يسقـى سوحهـا هاطـل السحب
ففـى سوح (نجـران الجـديد) مراتع من الأنس تنفـى للهمـوم من القلب

وقال مؤرّخـا :

وإذا سمـى (نجـران) فقد صار حقـا فى المبانـى مبتكر

وانتهى في طالع الخير لنا وعلى سمك المعالى قد ظهر
فلذا (نجران) بالعز سما وله التاريخ عز بظفر

نخلان :

واد معروف مجراه شمال صبيا بنحو ستة أميال تقريبا . قال الشاعر أبودهبل الجمحى

أن تغد من منقلى نخلان مرتحلا يبن من اليمن المعروف والجود

وقال الأمير الشاعر القاسم بن على الذروى :

لم يزل يشتاق نخلان وان . . قدم العهد ويهوى الكثبا
ما جرى ذكر المغانى فى ربى ضبرات الشط الا انتحبا
هائم القلب كئيبُ كنف لم ير السلوان عنكم مذهبا
ليت شعرى بعدنا هل طنبوا بربى (نخلان) بعدى طنبا
ونرى الحى الذى كنا وهم جيرة بالشام أيام الصبا

* * *

(حرف الواو)

الواسط :

قرية من قرى وادى ضمد بين قريتى (المحلة) و (ملقوطة) وقد صدحت قيثارة الشاعر ابن هتيمل عنها بأعذب النشيد وأرق الترجيع فقال :

هل يشفعان الى الصبا فيمر فى (دمن) بايمن (واسط) أدراس
فلعل أنفاس النسيم وبرده يطفى حرارة هذه الأنفاس

وقال :

وهل لكم علم بدارة (واسط) فأنشدكم عن عهدكم بالمعاهد

ومن المرجح أن كثرة الاستفهام دليل حرارة الاشتياق .

وقـــال :

مـا أنصفتـك الصحـب ليلـة (واسط)   رقـدوا وطرفـك ساهـر ، لم يرقد
أو مارأيت منـازل ابنـة مالك   جعلـت فؤادك موقـداً للموقد
وعدتـك ذات الـريط وهـى ملية   فى إثـر موعدهـا بخلف الموعد
وتجلببـت ورق الشبـاب فلـم تدع   جلـدا ، لكل متيم متجلد

* * *

وقـــال :

هـل الأثـلات الـلاءِ غربـى واسط   نواعـم خضر مابهـن ذبول
وهـل هن غضـات كأن فروعها   فروع العـذارى ظلهـن ظليل
فقـد طالما أمسـت وأضحـت ودوحها   مبيت لغـزلان الحمـى ومقيل

وأشهد أنه استفهام يذيب الوجدان ويهيج الأشجان لمن عرف ذلك المكان الرغيب ولازال الأثل ماثلا فى غربى القرية يتوارث الخلود وصيرورة البقاء بأجياله المتلاحقة وفسائله المتتابعة منذ ثمانمائة سنة أما فتيات الحمى فقد شغلهن التعليم والدرس فى عهد نهضتنا الصاعدة عن حياة اللهو البرىء فى ذلك العهد السحيق .

أيها السـادة الأجـلاء . .

لقد شغلت وقتكم الثمين ، بما أنتم أعرف به منى وقبل أن أختتم محاضرتى اسمحوا لى أن أحيى (جزيرتنا العربية) بقصيدة بعنوان (شبه الجزيرة العربية وبحارها) مستوحاة من خارطتها المجسمة وقد تكون من أول القصائد التى أنشئت فى موضوعها :

(شبـه الجـزيرة) منعـةً وبناء   وحمـى العروبـة ، منبـراً ولواءَ
وفضـاء أرض قد تألـق وازدهى   أفقـاً يشـع رسالـة وضياء
أرنـو اليك فأسـتشف جلالة   شماء توحـى العـزة القعساء
أعتـز بالماضى العـظيم وأنثنى   أمـلا بآت يفـرع الجوزاء

* * *

أرضـا على التـاريخ من أمجادها   عبـق يردده الزمـان ثناء
خفقـت بأعـلام الفتـوح فمدنتَ   أممـاً وعممّـتِ الوجـود رخاء
حملـت مصـابيح الحضـارة للورى   تبنـى الشعـوب وتنشر الآراء

* * *

تتوسـدين ذراعَ أحمـر زاخرٍ كالتبـر ذوبـاً والشعـاع رواء
متـلالئَ الأمـواج فى رأد الضحى متألقـاً ضاقى الجـلال مساء
يرتـادُ منـه اللحـظ أصفـى زرقةً من لازورد يغمـر الأرجاء
كقطيفـة زرقـاء قد نشـرت بها (جـزر) كإشراق النجـوم صفاء
يختـال بـين شواطـئ مسحورةٍ حسنـا ، ويلثـم ضفـة عذراء

* * *

هـام المحيط بهـا ـ وهـاب دنوها عذراء تغلـو فى الـدلال حياء
فأحاطهـا من ساعـديه وضمها ضماً يكادُ يقـارب الأجزاء
غرسـت لهـا المرجـان كفُ وانبرت كف لتنثـر (لؤلـؤاً) وضاء

* * *

يلتف حولك كالسـوار وينثنى لهثـاً يردد زفـرة حراء
نفسـاً تهيجـه الـرياح إذا زفت شرقيةً وتعيده أنواء
يلتف كالأهـداب زانَ فتونها (وطف) يفيض السحـر والاغراء
حـى (الخليج) وحـى بحـراً ماؤه (درّ) على وجـه الخضـم تراءى
حيث (المعـادن) والكنـوز دفينة والـزيت منبجس العيون سخاء

* * *

بحـر بأخيلـة الجمال شطوطه رسمـت ، فكانـت فتنـة وسناء
وبـه ليالى (الشرق) حالمة السنا سكرى الشعـاع وضيئـة قمراء
ورؤى من الأحـلام داعبهـا المنى خفقـت بأجـراس النسيم غناء
تتنفس الأزهـار ريا لحنها عبقـا ، وتومضـه النجـوم ضياء
شفافـة الأسحـار عاطـرة الهوا قد أرج الآفـاق والأرجاء
يتطلـع النخـل المنيف بشطها شوقـا ، يناجـى الـراية الخضراء

ولنكتف بهذا القدر من القصيدة حرصا على وقتكم الثمين وتقديراً لاصغائكم الرصين .
من ملل التطويل .

وختاماً أتقدم بخالص الشكر لجامعة الملك عبدالعزيز لدعوتها الكريمة ولمديرها الدكتور محمد عبده يمانى ولعميد كلية الآداب ـ الدكتور محمد زيان عمر رئيس لجنة إعداد المؤتمر كما أكرر شكرى لكم جميعا على فضل إصغائكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مراجع البحث لمحاضرة الأماكن الجغرافية لمنطقة جازان

اسم المؤلف	اسم الكتاب
ياقوت الحموى	معجم البلدان
عمارة اليمنى	ديوان عمارة مخطوط
القاسم بن هتيمل	ديوان شعر
الجراح بن شاجر	ديوان شعر
محمد بن أحمد العقيلى	المعجم الجغرافى لمنطقة جازان
محمد بن أحمد العقيلى	ديوان الانغام المضيئة .
محمد بن على السنوسى	ديوان القلايد
محمد بن على السنوسى	ديوان الأغاريد
حسن بن على الفيفى	ديوان أجراص
البكرى	معجم ما استعجم
محمد بن أحمد العقيلى	ديوان السلطانين تحقيق ودراسة وتحليل
الأصفهانى	الأغانى
عبد الرحيم البرعى	ديوان شعر
اسماعيل الوشلى	نشر الثناء الحسن فى تاريخ سادة اليمن مخطوط
بأقلام جماعة من رجال العهد الادريسى	مجموعة ذات قيمة أدبية تحتوى على أشعار الامام الادريسى ومدائحه
ابن بليهد	صحيح الأخبار
خلاصة العسجد فى دولة محمد بن أحمد	عبد الرحمن البهكلي .
صفة جزيرة العرب	الهمدانى .

مؤرخو منطقـــة جازان

المحاضرة التى ألقيت فى مؤتمر مؤرخى الجزيرة العربية
المنعقد فى جامعة الرياض من ٥ ـ ١٠ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ

مؤرخو المخلاف السليماني
(منطقة جازان)[1]

يصعد بدء ما دون من التاريخ الى قبل ما يقارب ستة الاف سنة ، ويبدأ هذا التدوين في الشرق على وجه الخصوص ، وتدور عجلة الزمان ويأتي ابو التاريخ (هيرودوتس) الذى عاش قبل خمسة وعشرين قرنا ، ويدون معلوماته وملاحظاته التى كسبها فى رحلاته فى العالم المعروف فى عصره فتكون أول موسوعة تاريخية بقدر ما سمحت به الرؤيا الفكرية وتوصل اليه الفهم الانسانى .

وتلاه معاصره (توكيد يدس) الذى خطا بالتاريخ العلمى خطوة متقدمة ، وتشيخ حضارة اليونان وتبزغ الحضارة الرومانية ويبرز مؤرخوها فيسجلوا نشأة روما وتكوينها الحضاري والاجتماعى ثم حروبها مع (قرطاجة) وغيرها ثم فتوحاتها العظيمة واباطرتها وقوادها الى غير ذلك .

وجاء الاسلام بهديه الساطع وضوئه الخالد وهديه القويم ، فغطى بفتوحاته اكبر رقعة من العالم القديم وبدأ فى أواخر القرن الثانى بتدوين تاريخه الحافل مستهلا بمغازى الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته العظيمة وتلاها تدوين اكبر واسرع فتوح عرفها التاريخ وأروع انجازات شهدها الانسان .

ونبغ مؤرخون على ذلك المستوى الرفيع كالبلاذرى والطبرى وابن الأثير وابن خلدون وغيرهم فسجلوا أسطع الصفحات وأخلد الأسفار فى تاريخ أمتهم ، وكل ما وصل الى علمهم من المعارف التاريخية للأمم الأخرى وكانوا بحق مؤرخين على مستوى الأمة الاسلامية لا فى

(١) المحاضرة التى ألقيت فى مؤتمر مؤرخى الجزيرة العربية المنعقد فى جامعة الرياض بتاريخ ١٣٩٧/٥/٩هـ

حدود الفرق او الطائفية أو المذاهب بل حلقوا فى اجواء رفيعة عن التعصب القومى الضيق او الشعوبية المقيته الى افاق الانسانية ورحاب التسامح الاسلامى .

وتفننوا فى علم التاريخ فجعلوا منه فروعا للتراجم العامة والخاصة بما يسمى (الطبقات) كطبقات النحاة والشافعية ، والمالكية ، والحنابلة والحنفية ، والأطباء وغيرهم .

أما فى الغرب فمؤرخو ما قبل عصر النهضة معروفون ، وما بعدها فهم من الشهرة بمكان ، ومنهم (جين) الذى فصل تاريخ الدولة الرومانية تفصيلا رائعا ، بعد سقوطها بألف وثلثمائة سنة ، ومن أسطعهم سمعة (ماكولى) و (كارليل) صاحب نظرية الأبطال ، وبرسكت الذى اعتنى عناية فائقة بتاريخ أمريكا القديم ، وغيرهم .

واذا كان المؤرخون على مستوى العالم قليلين ، فان مؤرخى الأمم والشعوب والدول ليسوا بالقليلين ، وهناك من أرخ للمدن أو المناطق فأحاط بكل ما مرت به المدينة أو المنطقة من الأحداث والحوادث وما تقلبت فيه من الأمور ومتى نشأت تلك المدينة ومن مؤسسها ؟ ودورها فى مسرح التاريخ بالنسبة اليها ثم الى البلاد أو المدن المجاورة لها ، ومن هذا النمط ، تأريخ الموصل ، وتأريخ بغداد ، وخطط المقريزى ، وتاريخ المدينة المنورة ، وتاريخ مكة المكرمة ، وغير ذلك .

ونجد فى تأريخ المدن والمناطق من التوسع والعناية بتاريخ تلك المدينة أو القطر والتدقيق فى أخباره مالا نجده فى التاريخ العام بالنسبة الى الأمة ، او الدولة .

فمؤرخو العالم تشغلهم قضايا العالم المصيرية وتسجيل الحوادث العظام والانجازات الرائعة ، والنهضات البناءة والوثبات الجبارة ، والخطوات الحضارية التى دفعت الانسانية الى مراقى التقدم الخلاق والاسهامات الرائدة .

ومؤرخو الدول والشعوب ، يعتنون بما حققته تلك الدول أو الشعوب من الفتوحات ، والانتصارات ، وتوسع النفوذ ، وما قدمته لشعوبها من التطور البشرى ، والتطلع الحضارى ، والتقدم العلمى .

وكلا الفئتين لا تعير كبير عناية للحوادث المحلية ، والحروب القبلية والظروف الاجتماعية والمطامع الاقليمية ، والمنازعات الدعاوية ، والتسلطات الدولية على الامارات الصغيرة ، فهذه الاحوال ، تتناولها التواريخ المحلية وتتبسط فيها تواريخ المدن والمناطق .

ومن هذه المناطق التى حظيت بالعناية التاريخية ، ونبغ من أبنائها مؤرخون سجلوا أحداثها وقيدوا اوابد حوادثها . (المخلاف السليماني) (منطقة جازان) الذى سنورد اسماء مؤرخيه فى هذا البحث .

ان التاريخ من بدء تسجيله حمل بين سطوره رسالة انسانية هى تعريف قرائة باحوال الأمم وتاريخهم الاجتماعى والسياسى وتطورهم الحضارى . . والانسان بطبيعته صديق ما يعرف ، ويدعو الى التعايش ، فأساس حسن التفاهم هو معرفة البعض بالبعض ومع ذلك فهو مدرسة رائدة ، وتجربة نافعة ، وعظة صالحة ، يستفيد الحاضر فيها من الماضى .

ان الماضى ليس مواتا عفى عليه الفنى ، وانقطعت صلته بالحاضر ، بل ان للماضى حياته المعنوية ، وتأثيره الأدبى ، وهل نعيش نحن ـ بعد مشيئة الله ـ إلا على هدى الماضى وتجاربه المكتسبة ، وعاداته وتقاليده الموروثة ، بل لا يقتصر تأثير الماضى على الأجيال الحاضرة ، بل يتعدى تأثيره حتى على الأجيال التى لم تر النور .

ان جريان نهر الحياة يبقى من طمى تجاربه الانسانية ما ينفع من بعده وكلما كان التاريخ شاملا وانسانيا كان ـ باذن الله ـ انفع لتطور الحياة وتقدمها الحضارى ورقيها الانسانى .

ان قسم التاريخ فى جامعة الرياض الفتية ، قرر فى منهج ندوته التى سيقيمها لدراسة تاريخ جزيرتنا العربية ستة مواضيع ، وجعل للمشترك الاختيار فى موضوع منها او اكثر من موضوع ، وقد اخترت ان اقوم بالمادة الأولى عن مؤرخى الجزء الجنوبى من مملكتنا العربية السعودية ، وقد فسرت ذلك بقولها : (ويقصد بهم أولئك المؤرخون من القدامى والمحدثين ، الذين الفوا كتابا أو اكثر ، أو أى موضوع اخر له علاقة بهذا الباب) .

ويسعدنى ان اتقدم لهذه الندوة بالبحث التالى وهو :

مؤرخو (المخلاف السليمانى) منطقة جازان .

واهم مراجع تاريخه ومؤرخيه :

١ ـ (ابو محمد الحسن بن أحمد الهمدانى) المتوفى سنة ٣٣٤ هـ كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى :

من الكتب التى تزود الباحث بذخيرة ثمينة من المعلومات القيمة عن أقاليم شبه الجزيرة

العربية ، شمالها وجنوبها وشرقها وغربها ، قل ان نجدها فى كتاب ، ومن تلك الأقاليم منطقة جازان التى كانت فى عصرها تتألف من مخلافين ، منطقتين .

(ا) **مخلاف** حكم ورئاسته فى ال عبد الجد الذى وفد على النبى صلى الله عليه وسلم عام الوفود فى السنة العاشرة للهجرة باسلام قومه ، وحدوده من وادى جدلان جنوبا الى شمال صبيا .

(ب) **مخلاف** (عثر) وحدوده من شمال صبيا الى حمضة شمالا ورئاسته فى قوم من بنى مخزوم وفى سرار القرن الرابع وحد سليمان بن طرف ـ من ال عبد الجد المخلافين ـ باسم المخلاف السليمانى نسبة الى اسمه ونقل عاصمته من مدينة (الخصوف) ـ على (وادى خلب) ـ الى مدينة عثر ـ على وادى بيش .

والهمدانى تغمده الله بالرحمة والرضوان أجزل لنا المعلومات ، عن رياسة المنطقتين ، ومدنها ، وأوديتها وبعض قراها . وان مسافة المخلاف حكم خمسة ايام .

٢ ـ عمارة بن الحسن الحدقى المشهور المتوفى سنة ٥٦٩ :

من أبناء منطقة جازان ، من بلدة تسمى الزرائب وقيل مرطان ، من قرايا وادى وساع المعروف بهذا الاسم فى منطقتنا الى هذا التاريخ ، كان يعرف فى جهته بالحدقى ورحل الى (زبيد) لطلب العلم فكان يعرف فيها بالفقيه ثم رحل الى عدن فشهر فيها بالفرضى ، وعندما رحل الى مصر واستوطنها شهر باليمنى .

وتاريخه المعروف بـ (المفيد) فى تاريخ زبيد من المصادر المعروفة لتاريخ جنوب الجزيرة ، وورد فيه عن وطنه منطقة جازان ما يلقى الضوء على بعض تاريخها ، وقد استقى معلوماته من حقائق عايشها ومن رواة استفاد . منهم ومن تاريخ بنفس الاسم للملك جياش بن نجاح ملك زبيد وغيرها ، وتاريخ جياش يفيدنا الديبع أنه فى عصره كان نادر الوجود ، وعلى كل فقد حفظ لنا عمارة مضمون الكتاب فى مؤلفه ، وهو اقصد تاريخ عمارة مصدر لكثير من المؤرخين مثل :

١ ـ الكامل لابن الأثير .
٢ ـ ابن سعيد .
٣ ـ ابن خلكان

٤ ـ عبد الرحمن الديبع
٥ ـ ابن خلدون
٦ ـ الخزرجى
٧ ـ ادريس صاحب عيون الأخبار
وغيرهم من المؤرخين .

وقد أفادنا عمارة بتوسع حدود المنطقة عما أورده الهمدانى ، بعد توحيد المخلاف ـ طبعا ـ وأن مساحة المخلاف السليمانى مسيرة سبعة أيام وحدوده من (الشرجة) جنوبا ـ الموسم ـ حاليا . الى (حلى بن يعقوب) شمالا . وان أميره هو يحيى بن حمزة الحسنى .

كما يفيدنا أن الطريقين الرئيسيين المؤديين من تريم فى حضرموت الى مكة المكرمة الطريق الساحلية ، والطريق الوسطى تمران عبر المخلاف السليمانى ويذكر مدنا وقرى على الطريقين قد دثرت ، حققنا أغلبها .

راجع كتابنا المعجم الجغرافى .

٣ ـ على بن حسن الخزرجى المتوفى سنة ٨١٢ :

مؤلف كتاب العقود اللؤلؤية وغيره ، وفى كتاب العقود اللؤلؤية ، بعض اخبار متفرقة وموجزة عن (المخلاف السليمانى) منطقة جازان .

٤ ـ يحيى بن أبى بكر العامرى الحرضى المتوفى سنة ٨٩٣ هـ
مؤلف كتاب غربال الزمان مخطوط ، أورد فيه نبذا من تاريخ المخلاف السليمانى .

٥ ـ عبد الرحمن الديبع الزبيدى المتوفى سنة ٩٤٤هـ
مؤلف كتاب المفيد فى تاريخ زبيد ، وكتاب (قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون) وقد اورد فيهما بعض حوادث المخلاف السليمانى .

٦ ـ أحمد بن مقبول الأسدى :
مؤلف كتاب الجواهر الحسان فى اخبار ابى عريش وجازان .

٧ ـ عبد الله بن على النعمان : المتوفى فى اواخر القرن الحادى عشر .

مؤلف كتاب العقيق اليانى فى حوادث ووفيات المخلاف السليانى ، وجعله ذيلا على كتاب غربال الزمان ، والعقيق . مخطوط فريد فى ما يقارب الخمسمائة صفحة ، يشتمل على تاريخ ٣٥٠ سنة تقريبا من سنة ٧١٨ ـ ١٠٧٠ هـ وأعتقد أنه بخط المؤلف نفسه ، وما سجله المؤلف قل ان تجده فى مصدر اخر ، وبغض النظر عن بعض الهناة والتعصب المذهبى والمخطوط مرتب على السنين وهو يستقصى كل ما يتعلق بالمخلاف السليانى وامرائه وحوادثه ووفيات رجاله وعلمائه ، كما يسجل الكوارث والظواهر الطبيعية من وقوع زلزال ، او عواصف وأعاصير وفيضانات وأوبئة ومجاعات وظهور المذنبات ، كما ياتى على ذكر المكاييل والموازين ، وأقيام المواد الغذائية .

كما يورد ما يصل الى علمه من أخبار خلافة بغداد ، وأخبار غزو الجراكسة لليمن والمخلاف السليانى وأخبار أمراء (حلى بن يعقوب) وأمراء مكة ، ودخول الأتراك الى تهامة اليمن ، وغير ذلك .

٨ ـ على بن عبد الرحمن البهكلى :

مؤلف كتاب العقد المفصل بالعجائب والغرائب ، فى دولة الأمير احمد بن غالب ، مخطوط يسجل تاريخ فترة قصيرة مليئة بالحوادث الساخنة ، والأحداث المتفجرة ، بطلها أمير من أشراف مكة نزح على أثر انتزاع امارة مكة بعد نزاع بين ال بركات ، وال زيد فتوجه جنوبا راجيا مساعدة امام صنعاء ، ثم تولى امارة المخلاف واراد ان يطبق فيه اسلوبه الاستبدادى ففشلت سياسته فعاد الى الحجاز ، ويأتى ترتيب هذا الكتاب من الناحية التاريخية بعد كتاب العقيق اليانى .

٩ ـ عبد الرحمن بن حسن البهكلى المتوفى سنة ١٢٢٤ هـ :

مؤلف كتاب خلاصة العسجد فى أيام دولة الشريف (الأمير محمد بن احمد وهو من الحلقات المهمة فى تاريخ المنطقة ، يسجل تاريخ واحد وأربعين عاما هى مدة حكم هذا الأمير ، وقد مهد لذلك بمقدمة عن وصول جد الأمير من الحجاز الى المخلاف السليانى ـ منطقة جازان ـ ثم اورد كيفية تسنم الأمير الى مركز الامارة ، وما جرى فى عهده الى حين وفاته .

١٠ ـ احمد بن محمد النمازى الصبيانى من رجال القرن الثانى عشر .

مؤلف كتاب السلاف فى أخبار صبيا والمخلاف والكتاب يعتنى بأنساب أهل المنطقة ، ثم أخبار وحوادث الجهة ، وكان لدى نسخة مهترئة اعتز بها استعارها صديق عزيز ، وادعى فقدها سامحه الله .

١١ ـ محمد بن اسماعيل الكبسى

من مؤرخى اليمن الشقيق ومؤلف كتاب اللطائف السنية فى تاريخ الممالك اليمنية مخطوط من جزءين ، ولم يصل الى علمى انه طبع .

الفه لأحد الولاة الأتراك العثمانيين ممن يظهر أن له تعلقا بعلم التاريخ والأدب ، وقد توخى فيه الايجاز والتركيز .

وقد تناول فيه بعض تاريخ (المخلاف السليمانى) منطقة جازان بطريقة لا تخلو من الايجاز ، ويعجبنى فيه دقة ملاحظاته واعتداله فى أحكامه بالنسبة الى نظرائه .

١٢ ـ عبد الرحمن بن حسن البهكلى ـ السابق ذكره :

مؤلف كتاب نزهة الظريف فى حوادث دولة أبناء الشريف . والكتاب من سلسلة تواريخ المخلاف السليمانى ويأتى ترتيبه بعد كتاب خلاصة العسجد للمؤلف نفسه .

١٣ ـ عبد الرحمن بن أحمد البهكلى المتوفى سنة ١٢٤٨ هـ :

مؤلف كتاب نفح العود بذكر دولة الشريف حمود ، وهو من المخطوطات المهمة بالنسبة الى تاريخنا الحاضر ، لاشتماله على تاريخ الدولة السعودية الأولى فى جنوب الجزيرة وفى المخلاف السليمانى ، وغزو محمد على لعسير والمخطوط مع تكملته لعاكش يسجل تاريخ ٢١ سنة ـ تقريبا ـ هى من أحفل السنوات بالحوادث ، وهى سلسلة تاريخ المخلاف السليمانى ، ويأتى ترتيبه بعد كتاب نزهة الظريف .

١٤ ـ الحسن بن أحمد عاكش المتوفى سنة ١٢٦٨ هـ :

مؤلف كتاب الديباج الخسروانى فى ذكر ملوك المخلاف السليمانى والكتاب من سلسلة حلقات تاريخ المخلاف السليمانى ، وترتيبه الزمنى يأتى بعد كتاب نفح العود .

والمخطوط يشتمل على بعض التفصيلات عن تاريخ حمود وعلى أخبار امارة ابنه أحمد بن حمود واختلافه مع وزير أبيه حسن بن خالد الحازمى ثم وصول خليل باشا والقائه القبض على أحمد بن حمود ، ثم اخبار خلفه على بن حيدر وابنه الحسين بن على ، الى وصول توفيق باشا والقائه القبض على الحسين بن على بن حيدر ومن ثم ارساله الى الأستانة .

١٥ ـ الشيخ عبد الله بن على العمودى من المعمرين ومن رجال العهد الادريسى :

مؤلف كتاب اللالع اليانى تناول فيه تاريخ اليمن وقد عرضه على الملك سعود رجاء الامر بطبعة فأحالة الى لجنة فلم توافق على طبعة فطلب الشيخ اعادة كتابه فأعيد إليه ، وقدمه بعد ارتقاء المرحوم الملك فيصل عرش المملكة رجاء طبعه فلم يحظ بذلك ، وأخيرا كما علمت أنه قدمه للملك فيصل فأعطاه مقابله ثلاثة آلاف ريال .

١٦ ـ محمد بن أحمد العقيلى ـ صاحب هذه المحاضرة :

مؤلف كتاب (المخلاف السليانى) أو الجنوب فى التاريخ ٣ أجزاء والكتاب معروف ومن الصعب أن يتحدث المرء عن نفسه ومن السخف أن يقرظ كتابه .

جهود الجغرافيين المسلمين
فى رسم الخرائط

المحاضرة التى حاضرنا بها فى المؤتمر الجغرافى الاسلامى الأول بالرياض

جهود الجغرافيين المسلمين
في رسم الخرائط[1]

سعادة الرئيس .. أيها السادة الأفاضل

قبل أن نشرع في الاشادة بمجهودات الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط وتوضيح أعمالهم الرائدة أستسمح حضرتكم ، في كلمة تمهيد ، أتطفل بها على علمكم الواسع ، في استعراض بعض أدوار تطور علم الجغرافيا لدى الأمم السالفة ، فان العلوم هي جهود مشتركة ، أسهمت فيها الأمم النابهة ، ذات المدنية والحضارات ، والرقي الفكري اومنهم - ان لم تكن شأنهم - الأمة الاسلامية ، وجهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط الاقليميه والعالمية أشهر من ان تحتاج الى إشادة ، فقد أنجبت الأمة الاسلامية ، شخصيات أضاءت دنيا العلم ، وآفاق الفكر ، وأنارت بمجهوداتها الخيرة مجاهل الأرض وآفاق الكون .

أنجبت رجالا وان كان قد غابوا بأجسادهم ، عن هذه الدنيا الفانية فانهم ما برحوا مادة إلهام ، ومثار إيحاء لدنيا العلم ، وإرث غنى لأمتهم ، فهم معين من الخبرة ، وفيض من التراث الانساني الخالد .

ان الاسلام قدم للبشرية - بعد الهداية للدين القويم - ضياء خالدا من العلوم شاركت في التقدم الحضاري والرقي الانساني ، وتنوير الانسان بما يقله ويحيط به في هذا الكوكب الأرضي .

ان الأعمال تختلف من حيث المنفعة ، والرؤيا الصحيحة ، والابداع المبتكر ، وإسعاد البشر ، وعمارة الكون ، والتقدم الحضاري .

---

(١) حاضرت بها في المؤتمر الجغرافي الاسلامي الأول المنعقد في قاعة الملك فيصل بـ« الرياض » وكانت المحاضرة الثانية في اليوم الأول للمؤتمر ، وهو يوم الاحد الموافق ٩٩/٢/٢٣ الموافق ٧٩/١/٢١ ونشرت في المجلد الثالث من كتاب المحاضرات ، عام ١٣٩٩ .

فالأمم تعتد بمن أنجبت ، من قادة ومصلحين ومبتكرين ، ومخترعين وجغرافيين ، ومؤرخين ، وأدباء وشعراء فهم مشاعل أضاءت دنيا الفكر وأسهموا فى تقدم المعرفة والفنون .

ان الانسان ينتشر بقدرة الله فيمن حوله بتأثير أعماله الخيرة ، وعلومه النافعة وأفكاره النيرة ، منهم من ينتشر على مستوى أمته ، ومنهم من هو على مستوى العالم بأسره ، ومن الأخيرين علماء الجغرافيين المسلمين الذين تأثر بهم الغرب فى نهضته الحديثة وغيرهم من علماء المسلمين كابن الهيثم ، وابن سيناء ، وابن رشد ، وغيرهم .

ان العلماء المسلمين ومنهم الجغرافيون أعطوا من ذاتهم أكبر نصيب للعلوم ومنها الجغرافيا ، فقد أقبلوا أولا على الترجمة ، فلما نضجت معارفهم قاموا بالدراسة الميدانية والتطبيق العلمى ، والتمحيض والتدقيق العلمى .

ثم صنعوا الاصطرلابات العربية ومختلف الالآت الفلكية والأرضية ، للمسح ومقاسات الارتفاع ، والمزاول ، والساعات والزوايا ، والمساطر ، وغيرها .

وانبرى فريق منهم للرحلات العلمية فى البر ، والبحر ، لتطبيق مادرسوه على الطبيعة ، واكتشافات المجاهل وقياسات الدرجات والظل فى البلاد ودراسة أحوال الشعوب وعاداتها وتقاليدها ، ودياناتها ، وحيواناتها ونباتاتها ، ومعدنها ، ولم يقفوا عند الجغراقيا الوصفية ، أو الفلكية ، بل تجاوزها الى الجغرافيا الطبيعية .

فقطعوا فى سبيل غاياتهم النبيلة ، المفاوز ، وجابوا القفار ، واجتازوا الموانع ، وامتطوا لجج البحار ، يركبون غوارب الأمواج ، ومخاضات الأنهار غير حافلين بالمخاطر ، رغبة فى تطبيق ما عرفوه ، وتسجيل مالم يصل الى علم من سبقهم ، مسطرين ملاحظاتهم على الاوائل مصححين أغلاط من سبقهم ، ورسم الخرائط على ضوء ذلك .

فى وقت كان الغرب يعيش فى دياجير الجهالة ، وهمجية التوحش ، حيث لا يوجد فى أوروبا بأسرها شيء من شعاع المعرفة ، اللهم مايتناقله رجال الكهنوت خفية .

حضرة الرئيس .. أيها السادة الأفاضل :

ليس فى طاقتى الاحاطة ، ولا فى مقدرتى الشمول بجهود الجغرافيين المسلمين فى رسم الخرائط ، وماحققوه من تقدم فى علم الجغرافيا ، وأنا سأشرع بمحاولتى المبتسرة التى أسميها

محاضرة ، بقدر جهدى القاصر فى هذا المؤتمر الحافل الذى دعت اليه جامعة (الامام محمد بن سعود) والذى يعد الأول من نوعه فى جزيرتنا العربيـة ـ على ما أعلـم ـ وتشتمـل هذه الكلمة على :

١ ـ الجغرافيا قبل اليونان .
٢ ـ اليونان والجغرافيا .
٣ ـ الرومان والجغرافيا .
٤ ـ العرب والجغرافيا .
٥ ـ جهود الجغرافيين المسلمين فى رسم الخرائط .

وأسأل الله التوفيق .

المعلومات الجغرافية قبل اليونان

يظهر وان كان لايوجد الدليل ـ أن الفينيقيين هم أول من وضع أو أسهم ولو بوضع الخطـوط الأولى فى علـم الجغرافيـا ، يهتـدى الى ذلك من معرفـة رحلاتهـم البحريـــة ، ونشاطهم التجارى .

فالفنيقيون هم من عرفوا بترويض البحار فى أسفار موسمية ، ومخـر أثبـاج الأمـواج ومسحهم الشواطىء ، جيئة وذهابا ، واقتحموا الصعاب . واتخذوا من البحر الأبيض مجالا حيويا ، وقبله من الخليج العربى ، والبحر الأحمر ، قبل انتقالهم من الخليـج الى لبنـان ، وتسميتهم مدن مهجرهم الجديد بأسماء مدنهم فى الخليج ، كـ (صور) و (الجبيل) وغيرهما . منذ ما يقارب خمسة وثلاثين قرنا .

كانت مدينة صور عاصمتهم وقاعدة تجارتهم ، يصلون اليها بمحاصيل أقطار العالم ، ومنتوجات الدنيا ومن صور توزع على الأسواق تجاريا ، وتتداول .... اقتصاديا ، بين الهند وشمال أفريقيا ، وبين بلاد العرب السعيدة موطن البخور والطيوب الى بلاد اليونان شمالا .

من فوائد تلك الرحلات ، ومن نتائج مغامرتهم الجريئة ، وأسفارهم التجارية الناجحة ، استفادوا علميا باختباراتهم وتجاربهم ، واقتصاديا بتبادل المنتوجات وجلب السلع والعروض ، فأصبحوا دهاقين التجارة ، وسادة البحار .

فنمت معلوماتهم بخطوط المواصلات البحرية والمسالك العالمية ، وأحوال الأمم ـ المعروفة ـ آنذاك ـ ومعرفة المدن ـ والمسافات بين البلدان ، وأنسب الفصول للأسفار ، ومواسم هبوب الرياح واتجاهاتها والاستدلال بمعرفة النجوم وغير ذلك .

فأتقنوا فن الملاحة ، مما مكنهم من معرفة عالم عصرهم ، ودنيا عهدهم ، والسيطرة على التجارة حتى ، حطمهم الرومان وتفردوا بالسيطرة كما هو معروف .

ولا يبعد أن يكون للبابليين والأشوريين والحيثيين مع ما وصلوا اليه من شأو حضارى بعض المعلومات الجغرافية ، وان شأنها أقل بكثير من المعلومات الفينيقية، والتى يقال أن بعضها وصل الى اليونان .

(اليونان والجغرافيا)

بعد نحو مايقارب ألف سنة من عهد النبى موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ، أهل العهد اليونانى ، الذى عاش فيه شاعر اليونان الكبير (هومير) الذى نظم معلوماته الجغرافية فى ملحمته المشهوره ...... (الألياذة) .

ظل اليونان على تلك المعلومات الضحلة ، حتى ظهور مؤرخهم فى سنة ٤٨٤ ق . م وبعد استكمال دراسته قام برحلاته ـ المعروفة ـ الى ممالك عصره ، فزار ضمن مازاره من البلاد (مصر) وسجل معلوماته عن البلاد التى زارها ومنها مصر ، التى أفاد عنها بمعلومات جيدة .

واليونان هم بدورهم ـ أيضا ـ جعلوا البحر الأبيض نقطة ارتكاز ومجال حيوى لنشاطهم التجارى والسياسى ، وامتد نشاطهم الملاحى الى البحر الأحمر لتجارة البخور وغيره .

ومن ما وصل اليهم بالرواية حتى عن الفينيقيين ، ومن أخبار روادهم الأوائل ، ومما جاء فى الالياذة تكونت معلوماتهم الأولية التى كانت أساسا لدراسة الجغرافيا دراسة مبدئية .

(حملة الاسكندر ليفتح العالم)

فى سنة ٣٣٤ ق . م تقدم بحملته المشهورة ، وكان بصحبته رجال من العلماء والمؤرخين والجغرافيين وغيرهم فاشتغل كل منهم فى دائرة اختصاصه .

ومن حصيلة جهودهم منذ خروجهم الى أن وصلوا الهند ، ومن المعلومات الذى جمعها المختصون فى أساطير تجمعت حقائق ومعلومات عن البلاد التى شملتها فتوحاته .

وكان لخلفائه وبالأخص البطالسة ، شغف علمى دفعهم الى العناية بجمع المعلومات الجغرافية عن شواطىء البحر الأحمر ، أضيفت الى معلوماتهم السابقة ومعلومات رجال حملة الاسكندر .

من كل تلك المعلومات المتفرقة قام (أرتستين) اليونانى المتوفى سنة ١٩٦ ق . م فى عصر البطالسة بتأليف كتاب سجل فيه كل ما وصل الى علمه عما يرى عن الفينيقيين وعن الرواد الأوائل وما سجله (هيرودت) ، وما جاء عن معلومات علماء حملة الاسكندر وغيرهم .

وجاء بعده الرحالة (استرابون) والجغرافى (بلينيوس) وسجلا ما وصل الى علم كل منهم ، وقد كتب البقاء لكتاب الرحلة (استرابون) الى هذا التاريخ .

وفى أواسط القرن الثانى ألف بطليموس كتابه الخالد (جغرافيا) أو (الجغرافيا) فحدد المدن وغيرها بالحسابات الفلكية ، والطرق الرياضية ورسم الخرائط المتقنة على خطوط الطول والعرض .

(الرومان والجغرافيا)

من المعروف ما بلغ اليه سلطان روما من اتساع أمبراطوريتها ، وما شملته فى القارات الثلاث ، وما يتطلب ذلك من معلومات جغرافية ، بمعرفة مناطقها ومدنها ، ومسافاتها ، والطرق المؤدية اليها ، وطبيعة كل منطقة وموقعها الأمر الذى استدعى من الدولة الاهتمام بالمعلومات الجغرافية ، والتشجيع على جمعها ، والأخذ بيد المؤلفين .

وكانت اكثر معلومات الرومان ، مستقاة من التجارة وقوافلها ، أو مراكبها فمعلوماتهم بالطرق التجارية الرئيسية والأكثر أهمية ـ بالنسبة اليها ـ تجاريا وحربيا ، والأمم التى حولها ، والشعوب الأكثر ارتباطا ومصالح تجارية بها معلومات صحيحة فى الغالب .

ان ترامى أقطار تلك الامبراطورية وتنوعات محاصيلها ، ووفرة انتاجاتها جعلتها تقرب من الاكتفاء الذاتى ، الا ماندر ، لذلك فكانت لاتستورد من الخارج الا وسائل الترف ، أو المواد الكمالية ، ومنها العنبر الذى كان له سوق نافقة ، فيجلب اليها من شواطىء البلطيك ، ويرسل الى مناطق البحر المتوسط ، فى طريق تقطع نهر الدنوب ، ومنه تدور حول مرتفعات الالب الشرقية ، فالبحر الادرياتى .

فتوفرت لديهم معلومات عن أوروبا مستقاة من تجار تلك المادة . ووفرت المال وبذخ أشراف روما يتطلب الحصول على الأحجار الكريمة ، والطيوب ، والعاج ، والبخور ، والمنسوجات الرفيعة ، وهى مواد ومنتوجات مصدرها الهند وعدن من البلاد العربية ، وبعد ذلك الحرير والورق من منتوجات الصين .

وروما تتقاضى رسوم جمركية على تلك السلع تعد من مواردها الرئيسية وذلك يستدعى حراسة الحدود برا وبحرا ، فضلا عما يقتضيه موقعها العالمى كأمبراطورية ، كل ذلك يستوجب سواء فى الدوائر الرسمية ، أم من الباحثين أن يغلب على هذا العمل الطابع الاقتصادى والسياسى أكثر منه الطابع العلمى .

لما سبق حرصوا على معرفة طريق الهند عبر المحيط الأطلنطى ، متحاشين بقدر المستطاع الابتعاد عن الساحل خشية القراصنة ، وقد يقول قائل : أن طريق المحيط الى الهند لم يكتشفها الا (فاسكودى جاما) سنة ١٤٩٨ بارشاد الربان العربى بن ماجد ، فنقول له ان المعارف الجغرافية اليونانية والرومانية ، قد أسدل عليها الجهل الأوروبى حجبا كثيفة فتوارت فى ظلام النسيان ومهامه الاهمال ، ولم تعد تلك المعارف الى أوروبا ثانيا الا بفضل المسلمين فترجمها الأوروبيون من العربية بعد أن أتموا تحصيلهم العلمى فى طليطلة ، وقرطبة ، وغيرها .

لقد كان السفر من (عدن) الى الهند للأساطيل التجارية الرومانية ويستغرق مدة ثلاثة سنوات ايابا وذهابا إذ شغف أغنياء وأشراف روما بمنتوجات الهند من المنسوجات المفضضة والمذهبة والعطور والأحجار الكريمة واللؤلؤ ، والأفاويه ـ وبالأخص (الفلفل) ومايدره من

الارباح .... الجزيلة تغرى بتحمل تلك المشاق ، فظلوا على تلك الحال ، حتى تمكن بحار جرىء يسمى (هيبالوس) بذكائه الخارق ، من معرفة موسم هبوب الرياح الموسمية التى تدفع مركبه الى الهند ، والعكس ، فكان ذلك اكتشافا له أهميته القصوى بالنسبة الى عصره بحيث اختصر الى اثنى عشر شهرا ذهابا وايابا ، فازدهرت التجارة بين الهند وروما .

وبذلك استطاع رائد علم الجغرافيا (بطليموس) فى عهد الامبراطور (هدريـان) أن يحصل على معلومات جديدة ومفيدة عن الهند والبلاد التى وراءها .

وأتى بعد ذلك اهتمام الرومان بالتجارة مع الصين عبر آسيا الصغرى وجبال التركستان ، الذى كان الوحيد لانتاج الحرير من نسيج دودة القز .

ومن عهد الامبراطور (يوليوس قيصر) أصبح الحرير مادة الحصـول على الأربـاح الطائلة والمال الوفير لايدر أى شىء آخر فى أوروبا بأسرها .

فسار الاتجار مع الصين الى القرن السادس بعد تمكن الرومان من اغراء بعض المجازفين بجلب دودة القز الى القسطنطينية ، وبذلك تمكنوا من تصنيعه وهكذا كانت التجارة وسيلة الرومان للمعلومات الجغرافية .

(الجغرافيا عند العرب)

الشعر بالنسبة الى العرب أولا ، والمسلمين ثانيا ، هو المادة الاولى لعلم الجغرافيا ، أو بالأصح علم تقويم البلدان .

لقد تضمن الشعر الكثير من أسماء الاماكن والمعالم والروضات ، والمنتجعات والمراعى والجبال والأودية والغابات والبلدان وموارد المياه .

كان العربى يسجل مشاعره فى شعر رفيع وبيان مشرق ، مهاد طفولته ومراتع صبـاه ومواضع لهوه ولعبه ، ومسارح أنعامه ، ومواقع غزواته ، وميادين معـاركه ، فى شعـر ينبض بالأحاسيس ويشع بدفء العواطف ، ويجيش بأسمى المشاعر .

وفى الأعشى الشاعر الجوال ، الذى كان يجوب أنحاء الجزيرة ، من مشارف حضرموت ، الى أقاصى الشام مايعرفه حضراتكم .

وفى المعلقات السبع ، أو العشر ـ على رأى البعض ـ مادة غنية بما يسمى بالجغرافيا الوصفية ، فهذا أمرؤ القيس يقول فى مستهل معلقته :

قفا نبك من ذكر حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فذكر ثلاثة مواضيع وهى (سقط اللوى) ـ الدخول ـ حومل) فى بيت واحد الى أن يقول :

أصاح ترى برقا أريك وميضه كلمع اليدين فى حبى مكلل
قعدت وأصحابى له بين ضارج وبين العذيب بعد ما متأمل
على قطن بالشيم أيمن صوبه وأيسره على الستار ويذبل
فأضحى يسح الماء حول كتيفه يسح على الاذقان دوح الكنهبل
ومر على القنان من نفيانه فأنزل منه العصم من كل منزل
وتيماء لم يترك بها جدع نخلة ولا اطما الا مشيد بجندل

فقد ذكر فى الستة الأبيات أسماء (ضارج و (العذيب) وجبال (قطن ـ الستار ـ يذبل ـ كتيفة ـ القنان ـ تيماء) وهذا زهير بن أبى سلمى يقول فى معلقته :

تبصر خليلى هل ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثم
جعلنا القنان عن يمن وحزنه وكم بالقنان من محل ومحرم
ووركن بـ (السوبان) ثم جزعنه عليهن دل الناعم المتنعم
بكرن بكورا واستحرن بسحره فهن ووادى (الرس) كاليد للفم

وعنترة العبسى يحدد لنا محلة محبوبته (عبلة) ومنتجع قومه فيقول :

وتحل (عبلة) بـ (الجواء) وأهلنا بالحزن فـ (الصمان) فـ (المتلثم)

وجاء دور الأسواق العربية ، من دومة الجندل ـ فى شمال مملكتنا الى (عثر) فى جنوبها ، الى أسواق جنوب جزيرتنا العربية ، فاقتضت الرحلات والنشاط التجارى فى مواسم معروفة ، من التجار والمتسوقين ، ثم قوافل التجارة بين الشرق والغرب ، وهى تقطع الجزيرة من مواطن البخور والطيوب الى فارس وأقاصى الشام وآسيا الصغرى ، وفى البحر تجتاز التجارة العربية الى الحبشة ، وأيضا الى الهند . وكانت بعض القوافل تبلغ الى ثلاثة آلاف جمل .

وكان للحج قدسيته فى الجاهلية ، عند العرب ، فيحج اليه من أنحاء الجزيرة ، كل ذلك اسهم فى معارف العرب الجغرافية عن جزيرتهم وما حولها .

وجاء الاسلام بنوره الساطع وهديه القويم ، وفرقانه المبين الذى لا يأتيه الباطل ، جاء لهداية العالمين ، وقص سبحانه وتعالى أحوال الامم الماضية والحضارة البائدة ، والمدن المندثرة والباقية ، مما فيه ذكرى وعبرة وعظة فاستنارت البصائر واتسعت المدارك .

وكان لغزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، وسراياه الريادة الأولى لتعرف المسلمين على معلومات جديدة بالنسبة لما سبق ، فمن هجرة الى الحبشة الى غزوات فى شرق الجزيرة وشمالها ، ثم الى جنوبها ، وكانت لا يطرقها أحد منهم فضلا أن تغزى ، الا بدليل او صحيب .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما هاجر الى المدينة استصحب معه دليلا ، وجاء دور البعوث والوفود فسلكت السبل وتسهلت الطرق التى كان قل من يسلكها .

وكانت السنة العاشرة للهجرة (عام الوفود) فأقبلت وفود العرب من أرجاء جزيرتهم الى المدينة من كل صقع وصوب ، معلنة إسلامها فاتسعت آفاق المعرفة وترسخت للعارف ، فان الرحلات على الركاب والخيل ، مع الحل والترحال تتيح للمسافر المشاهدة والمعاينة .

والخلفاء الراشدون رضى الله عنهم ـ كما تروى سيرهم ـ لا يبعثون بها أو يرسلون جيشا الا بعد أن يسألوا عن الطريق التى سوف يسلكونه والبلاد التى ستغزى .

وفرض الله الحج على المسلمين فى سنة ست ـ عند الجمهور ، واختار ابن (القيم) فى الهدى انه فرض سنة تسع أو عشر وفيه خلاف ـ وبعد فتح مكة أقبل المسلمون الى الحج ، ودل الناس فى دين الله أفواجا ، وساد الأمن وانتشر الاسلام وأقبلت وفود الحجاج ، فاضيف رصيد من المعارف الجغرافية .

وجاء دور الفتوح ، فى عهد الخليفة الأول ، فاستنفر أبناء الجزيرة العربية ، فأقبل مجاهدوها من جميع الأقطار الى مركز التجمع فى عاصمة الاسلام ، صوب العراق والشام ، وهى أقطار كان لايصلها الا تجار ، أو ممتارون فى اعداد محدودة ، مشتغلين بما وصلوا لأجله ، ليس الا .

أما هذه الجموع والحشود ، من جيوش المسلمين الذين همهم الأول اعلاء كلمة الله ثم معرفة البلاد التى يفتحونها أولا ويستوطنونها ثانيا فيقتضيهم الحال كفاتحين ترسيخ المعرفة بأرضها وجبالها وسهولها وأنهارها ووديانها ودروبها ، وبيئتها وطبائع أهلها .

ودخل الناس من أهل البلاد المفتوحة فى دين الاسلام ، وأقبلوا لأداء فريضة الحج أو الاتصال بعاصمة الاسلام لشتى الأغراض ، واحتاجت الخلافة لتأمين طرق المواصلات ولارسال الامدادات والمؤن واستقبال الخراج واتصالات البريد ، فتجمعت المعلومات الجغرافية من جراء ذلك من أخبار الغزاة ، ورواية الأخباريين والقصاص وغيرهم ، ومن علم الامم التى شملهم الفتح ، فأصبحت معارف المسلمين تتعدى محيط جزيرتهم الى العراق ، وفارس ، والشام ، ومصر ، فليبيا ، والمغرب ، وما انتهى عهد الخلفاء الراشدين الا وهناك معلومات جغرافية عن تلك الأقطار التى فتحت فى كل من آسيا ، وأفريقيا ، وحصل اختلاطهم بأهل البلاد بالمصاهرة والحلف ، والمجاورة ، والمشاركة ، وهم أمم ذات حضارات وثقافات ومفاهيم وتصورات حضارية ، من فرس ، وروم ، وقبطة ، وسريان ، وبحكم الاختلاط والاحتكاك تفهم العرب مالديهم ، من المعلومات الجغرافية ، التى هم فى أهم الحاجة اليها فى تطلعاتهم المستقبلية وحاضرهم المتفتح لتطور سير الحياة فى الادارة والقيادة والسياسة والسيادة واتصلت بالرواه والاخباريين والقصاص فرووها بدورهم ـ مؤخرا ـ للمؤلفين فسجلوها كحقائق بدون تحقيق أو تحرى أو تمحيص ، وأضيف اليها مادة جديدة هى فضائل البلدان ، كفضائل اليمن ، وما أورده بن عبد الحكم فى كتاب (فتوح مصر) .

لم يمض قرن على سطوع شمس الاسلام حتى خفق علمه المظفر على أغلب أقطار آسيا وأفريقيا وقسم من أوروبا .

وبطبيعة الحال أن ادارة تلك الامبراطورية المترامية الأطراف ، الشاسعة المساحة ، المختلفة الأجناس تتطلب المعرفة العلمية ومنها المعلومات الجغرافية الوصفية فى المرحلة الاولى ، والفلكية فى المرحلة اللاحقة .

لقد استولت الفيالق الاسلامية على العراق ومايليه من بلاد فارس ، واجتاحت سوريا سنة ١٦ ـ ٦٣٨ ، وبلاد مابين النهرين سنة ٦٤٠ ـ تقريبا ـ واستولت بعدها على ماتبقى من بلاد فارس وأرمينية ، وكردستان واذربيجان وماوراء النهر ، هذا فى المشرق .

أما بالنسبة الى الغرب ، فقد فتحت مصر سنة ٣٠ ـ ٦٤٣ وسارت لفتح ليبيا ـ بعد ذلك ـ ولم يتوقف القائد عقبة بن نافع الاعلى شواطىء المحيط الأطلسى .

وفى سنة ٥٤ ـ ٦٧٢ أستأنفت الجيوش الاسلامية نشاطها الحربى حتى أشرفت على سور الصين ، ومن الناحية الأخرى ، اجتاحت مقاطعة السند بعد ذلك بفترة على يد القائد البطل محمد بن القاسم الثقفى .

أما فى الميدان الغربى فقد تطلعت الجيوش الاسلامية الى ماوراء البحر الأبيض المتوسط ، فغزا القائد البطل طارق بن زياد الاندلس ، وبعد أن وطد دعائم هذا الفتح العظيم ، تقدمت الفيالق الاسلامية حتى توقفت على نهرى الرون والسون ، وشعرت أوروبا بما ينتظرها بعد ذلك ، فالتفت تحت قيادة شارل مرتل ، ودارت معركة بوتييه سنة ١١٩ هـ .

ومن الناحية الأخرى تراجعت الجيوش الاسلامية من تحت أسوار القسطنطينية فكان من جراء ذلك انحسار المد الاسلامى عن أوروبا من الشرق ومن الغرب ولو أراد الله سبحانة وتعالى غير ما قدر لكان الآن تسمع أصوات الأذان تدوى فى أجواء أوروبا بأسرها .

ان علم الجغرافيا بدأ لدى اليونان شعرا فى الياذة هوميروس ، كما بدأ لدى العرب أولا ثم لدى المسلمين ثانيا ، بدأ شعرا يزخر بالعواطف ويجيش بالمشاعر ، وفى بعض ما أوردناه عن الشعر الجاهلى مايغنى عن الاعادة .

أما فى الشعر الاسلامى فهذه نماذج غنية بالجغرافيا الوصفية لا فى الجزيرة العربية فقط بل هو فى البلاد التى فتحت : قال كعب بن الأشقر الأزدى :

تلبسوا لقراح الحرب بزتها	فأصبحوا من وراء الجسر قد عبروا
ساروا بألوية للمجد قد رفعت	وتحتهن ليوث فى الوغى وقر
حتى اذا خلفوا الأهواز واجتمعوا	بـ (أمهرمز) وافاهم بها الخبر
حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد	شبت لنا ولهم نار لها شرر
عبوا جنودهم بالسفح اذ نزلوا	بـ (كازرون) فما عزوا ولا ظفروا
بـ (دشت بارين) يوم الشعب اذ لحقت	أسد بسفك دماء الناس قد زرأوا
لما زواهم الى (كرمان) وانصدعوا	وقد تقاربت الأجال والقدر
تأتى علينا حزازات النفوس فما	نبقى عليهم ، ولا يبقون ان قدروا

ورغبة فى الاختصار ، فان (كثير) الذى هو من أغنى الشعراء بذكر الأماكن ، وشعر ذى الرمة والشماخ وشبيب بن البرصاء و (عدى بن الرقاع) و (كعب بن الأشقر) مايغنى .

ومن شعر الرجز ، قصيدة أحمد بن عيسى الرداعى وهى من أهم الأراجيز التى وصفت طريق الحج ، والتى عدد فيها المراحل من أقاصى اليمن الى مكة المكرمة ، ويكفى فى الاشادة بهذه الأرجوزة أن جميع الباحثين عن موقع سوق [عكاظ التاريخى] استرشدوا بها ، واستناروا بما ورد فيها إذ يقول :

ياهند لو أبصرت عن عيان	قلائصا يوضعن من (جلدان)

وجلدان ان موضع معروف باسمه الى هذا التاريخ .

الى أن يقول :

اذا انتحى القوم على الخوص العنق	عن ذات (أصداء) سنامى (الفتق)
العيد هيات العياهيم السحق	وقد طوت (حنظوة) الخرق الأمق
حيث بريد الصخر عن غرب الطرق	أقول للبارق وهنا اذ برق
لو أمضى البرق اليمانى المؤتلق	أيسر (نعمان) اذا شق الافق
فقلت لما ثاب لى احتفاظى	والقلب فيه شبه الشواظ
سل الهوى عن قليلك المغتاظ	والعيس تطوى الارض بالمظاظ
مشفقة من زاجر كظاظ	مسهلة للخبت من (عكاظ)

* * *

فانجردت بالرفق العصائب	عيدية مفعمة المناكب
تاركة (قران) لـ (المناقب)	بحيث خط الميل كف الكاتب
و (شربا) فى جنح الليل واقب	بكل محض حسن الضرائب

ويقول الهمدانى فى شرح الثلاثة الأبيات الأخيرة و (قران) و .... (شرب) مكانان من أرض عكاظ ، وهذه المواضع من المحجة على يوم وكسر ويسير الناس من (قران) و (شرب) ذات اليسار ، فيصعدون رأس السرة ، وتسمى (المناقب) وينزلون على قرن وهو ميقات أهل نجد .

ولأستاذنا الشيخ حمد الجاسر رسالة قيمة قديمة تعد أفضل تحقيق كتب عن موقع عكاظ التاريخي وخارطة للموقع وماحوله .

ويجيء ـ بعد الشعر ـ كمادة لعلم الجغرافيا الوصفية الرواة والاخباريون والقصاص ، ومصدر لتفسير الشعر .

لقد تغيرت المفاهيم ـ في القرن الثاني وأول القرن الثالث ـ لما طرأ من الحضارة في الاسلام فأصبح الحواضر ليسوا في مستوى العربي الذي يعيش في البادية ، في رعي أنعامه ، ضاربا في أجواز الفلاة في طلب الكلاء يمارس الغارة والرعي ، على علم وبصيرة بأرضه وما حولها لما تقتضيه ضرورة الانتجاع ، والحل والترحال ، وهو على معرفة بمسالكها ودروبها ، وأعلامها ومجاهلها ، وموارد المياه ومواطن الرعي فقد يظل الطريق ، أو تعمى عليه السبيل فيسترشد بالبيت من الشعر ويستنير بمضمونه ، الى معرفة ماحوله من جبل شامخ ، أو صحراء منداحة أو كثبان مهالة ، أو غدير رقراق .

فجاء الرواة الذين ضربوا في أجواز الصحراء ، وطرقوا مضارب العرب لطلب رواية الشعر وتلقي الفصحى من أفواه الصرحاء ليقوموا بدور الشرح والتفسير .

ومن أشهر الرواة والاخباريين الذين تجمعت لديهم روافد الرواية والأخبار وقاموا بدور التأليف في مادة تقويم البلدان ـ الجغرافيا الوصفية .

١ ـ أبو سعيد عبد الملك الأصمعي ـ وكتابة من مصادر معجم البلدان لياقوت .
٢ ـ أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي ـ صاحب كتابة تقويم البلدان وقد أشار اليه .
٣ ـ أبو عبيد الكوني
٤ ـ أبو محمد الحسن بن أحمد صاحب كتاب جزيرة العرب .
٥ ـ أبو الأشعث الكندي صاحب رسالة جبال تهامة .
٦ ـ أبو محمد الغند جاني صاحب كتاب مياه العرب .
٧ ـ أبو سعيد السيرافي
٨ ـ محمد بن أدريس بن أبي حفصة في كتابه مناهي
٩ ـ محمد بن موسى الحازمي .
١٠ ـ أبو الفتح الاسكندري .

هذا على سبيل الاختصار ليس الا .

ان معلومات الأمم تبدأ بالشعر وتليه الرواية ثم يأتى دور تسجيل المعلومات وتدقيقها وتمحيصها ثم التحقيق والتسجيل الاولى ، وأخيرا دور الدراسة العلمية والتطبيق العملى الذى هو يليه دور الابداع والابتكار ، وهكذا بدأ علم الجغرافيا لدى المسلمين بالشعر فالرواية وتطور بحكم مايقتضيه التطور الى علم الجغرافيا الفلكية .

جهود الجغرافيين المسلمين

الجغرافيون المسلمون منحوا العالم أسنى عطاء وأجزل المكاسب العلمية ، وفرزت معارفهم ضياء خالدا ، وعلما نافعا ، وخرائط رائدة ظلت نحو أربعمائة سنة ، هى القبس المشع ، والنور الهادى ، والمصدر الثر لعلماء الغرب .

بدأت الترجمة فى العهد الأموى ـ على نطاق محدود وجهود فردية ـ ورسمت بعض الخرائط الأولية ، وكانت لم تصل الينا ، وهذا ابن الفقيه الهمدانى يذكر فى كتابه (البلدان) ص ٢٨٣ أنه رسمت للحجاج بن يوسف الثقفى خريطة لبلاد اليام ، ومن البديهى أنه لو لم يسبق الى علم الحجاج مثل ذلك لما أمر به .

وترجم بن المقفع المولود سنة ١٠٦ هـ أى قبل زوال الدولة الأموية بست وعشرين سنة ، كتاب كليلة ودمنة من لغته الفارسية ، كما ترجم من اليونانية كتاب تحليل القياس لأرسطو .

وقامت الدولة العباسية سنة ١٣٢ ـ ٧٥٠ وبعد موت مؤسسها أبى العباس السفاح خلفه أخوه أبو جعفر المنصور ، الذى أمر برسم خريطة لقنوات البصرة ، كما أورد ذلك البلاذرى ص ٣٧١ فى كتابه فتوح البلدان .

فهل لايكون ـ وامبراطوريته المترامية الأطراف وهى أهم عليه من قنوات البصرة ـ قد أمر برسم خريطة أو خرائط لها .

وفى عهده بدأت الترجمة على المستوى الرسمى ، فقد بعث رسالة الى الهند وفارس والروم ، فى طلب الحصول على كتب علوم الأوائل فوصله كتاب (السند الهندى) فأمر رائد علم الهيئة والجغرافيا فى عهده محمد بن ابراهيم الفزارى بنقله الى العربية .

ولم يقف نشاط الفزارى عند الترجمة ، بل ألف كتابا فى الفلك استنار به العرب ، وقد يكون هو اول كتاب فى الفلك بالعربية لمؤلف مسلم .

لم نجد فيما لدينا من المصادر تاريخ مولده ، وانما نستنتج من تاريخ ابتداء قيامه بترجمة الكتاب المذكور فى سنة ١٥٦ ـ ٧٧١ أنه قام به وهو فى كمال نضوجه العلمى ـ اى فى سن ٤٥ سنة ، فاذا صدق استنتاجنا ، فيكون مولده سنة أحد عشر ومائة ، فى العهد الأموى فأظله العهد العباسى وعمره واحد وعشرون عاما أى انه ولد ونشأ وتعلم وحفظ بعض اللغات فى العهد الأموى .

سيدى الرئيس ـ ساداتى الأفاضل

ان الفزارى مفخرة اسلامية ، وحسبه تنويها واشادة قول الوزير يحيى بن خالد بن برمك : أربعة لم يدرك مثلهم .

١ ـ الخليل بن أحمد الفراهيدى

٢ ـ محمد بن ابراهيم الفزارى .

٣ ـ الامام ابو حنيفة .

٤ ـ ابن المقفع .

ومن مؤلفات هذا النابغة المسلم الكتب الآتية :

١ ـ كتاب الزيج

٢ ـ كتاب الاسطرلاب المسطح .

٣ ـ كتاب المقياس للزوال .

٤ ـ ارجوزة فى علم النجوم .

وقد أورد المؤرخ والجغرافى المسعودى فقرة من كتاب الزيج فى كتابه مروج الذهب تضمنت وصفا للعالم المعروف آنذاك .

ثم أمر أبو جعفر المنصور بترجمة كتب بطليموس التى وصلت اليه ، وهى الترجمة الأولى ، وقد مرت ترجمة علوم الأوائل بأكثر من دور .

لقد أقبل المسلمون فى الدور الأول على الترجمة وهم متدافعون بزخم رغبة التطلع العارم ،

ونهم العقل الراغب فى التفوق ، فترجموا فى عجلة الألفاظ وأبقوا المصطلحات العلمية والمسميات الفنية بألفاظها الاعجمية مثل :

١ ـ الهميولى (المادة الأولى) .
٢ ـ الجغرافيا علم تقويم البلدان .
٣ ـ الأريثماطيقى (علم الحساب) .
٤ ـ الأسطر قوميا (علم النجوم)

وغير ذلك .

أما فى الأدوار التالية ، وهو دور المراجعة والتروى والتدقيق والتمحيص فكانت الترجمة فى تروى وأناة والتعريب الصحيح الجاد ووضع أسماء عربية لتلك المصطلحات الأعجمية فاخترعوا أسماء عربية بطريق المجاز أو الاشتقاق ، أو المصدر الصناعى ، فقالوا :

المادة الأولى	الماهية	الكيفية	الكروية
والجوهر الفرد	الشعوبية	الكمية	
العرض	الطائفية	الثقل	
الجزء	المذهبية	الحركة	

كما أضافوا لا النافية فقالوا : اللاإدارية ، اللانهائية ، وغير ذلك ، بل ألفوا كتابا مستقلا للتعريف بالمصطلحات العلمية مثل كتاب (مفاتيح العلوم)

ان العلماء المسلمين قاموا بدورهم البناء فى تقدم الحضارة والعلوم وطوعوا لغتهم ، فاستوعبت حضارة من تقدمها ، ومدنية من سبقها فأغنوها بمفردات لم تكن معروفة فى موطنها ، من جذورها الاصلية فأوجدوا الأسماء لكل المصطلحات الفنية والكلمات الحضارية .

من المعلوم أن العناية بالترجمة لعلوم الأوائل بلغت غاية عنفوانها وأوج نشاطها فى عهد الخليفة المأمون ، منشىء دار الحكمة ، أول ـ كتدرائية فى الاسلام .

ان الخلفية المأمون ملك من طراز فريد ، سعد ـ بحق ـ التفوق العلمى والنبوغ الفكرى فى ظل ملكه والذى أمر باجراء أول تجربة على الطبيعة وتطبيق عملى لدورة الارض ، عندما اطلع فى بعض المصادر منها أربعة وعشرون ألف ميل ، فأمر بنى موسى بن شاكر بأن يقوموا بالتجربة ، فساروا الى صحراء سنجار ، وكانت التجربة المعروفة تاريخيا ، وحققوا مساحة الدرجة الواحدة ستة وستين ميلا وثلثى الميل .

ومن المعروف أن الأرض مقسمة الى ثلاثمائة درجة ٦٦ × ٣٦٠ = ٢٤٠٠٠ وفى عهد المأمون رسمت أول خريطة ، أو خرائط على مستوى العالم وعرفت بالخرائط المأمونية ، ولا غرو فدولة الاسلام فى عهد المأمون هى أكبر دولة فى عهدها ولها شبه سلطانها العالمى بالنسبة الى غيرها .

لقد سبق فى جغرافية بطلميوس مصور للعالم فى عصره ، كما يشير ياقوت فى معجم البلدان أنه رسمت لاردشير من الملوك الساسانيين خرائط للعالم ، وروى أحمد الطوسى أنه رسمت كذلك لـ (قباذ) وانما ريادة الجغرافيين المسلمين تفوق كل ما سبقها .

لم تكن تلك الجهود الجغرافية فى عهد المأمون الا بداية رائدة لما بعدها ، ومن رجالها محمد بن موسى الخوارزمى صاحب كتاب صور الأرض وغيره مثل أبو جعفر الخازن الذى يشير صاحب الفهرست أنه أول واضع لهذا النوع من المصورات الجغرافية .

وجاء العالم الجغرافى الشهير أبو عبد الله محمد بن جابر البتانى المولود سنة خمس وثلاثين ومائتين وهو صاحب كتاب الزيج الصابى المشتمل على :

١ ـ خرائط لـ ٩٩ بلدة .
٢ ـ جداول لأطوال وأعراض الأرض .
٣ ـ الارصاد التى قام بها .
٤ ـ الآلات المستعملة فى زمانه للرصد .

لقد بنى أرصاده على ماقام به بنفسه فى مدينتى (الرقة) و (انطاكيا) فى سوريا ، وحققها على كتاب الزيج الممتحن لأحمد بن عبد الله الحاسب من فلكى وجغرافى عصر المأمون ، وعلى كتاب بطليموس من الترجمة السريانية .

ومن أعماله المهمة ـ أيضا ـ الأرصاد التى قام بها ابتداء من سنة ٢٦٧ ـ ٣٧٠ لقياس ارتفاع الشمس فى الظهيرة عند المنقلبين الصيفى والشتوى وقد وجد قمة الزاوية ٣٥ ، ٢٣ ، ويقول الدكتور امام ابراهيم أحمد : أثبتت الحسابات الحديثة أن القيمة الصحيحة لا تختلف الا بمقدار دقيقة . هذا مع ما فى آلات الرصد القديمة من بدائية وقصور عن الآلات الحديثة المتطورة .

لقد تعدت شهرة البتانى العالم الاسلامى الى الغرب فهو يعد لديهم فى الدرجة الاولى فى علم الفلك وقد أشاد به غير واحد منهم .

١ ـ نوه به (كاروجوى) فى كتابه (تاريخ الرياضيات) .

٢ ـ عده (لالاند) من عشرين فلكيا شهروا فى العالم .

٣ ـ نعته (سارتون بأعظم فلكى زمانه ومن أعظم علماء المسلمين فى فنه .

سيدى الرئيس ـ سادتى الأفاضل :

ان جهود الجغرافيين المسلمين فى القرنين الثالث والرابع ـ التاسع والعاشر الميلادى هى الغرة الشادخة والصفحة اللامعة فى سجل تاريخ الجغرافيا .

لقد عاصر البتانى عالم من أبرز الجغرافيين المسلمين صاحب مدرسة رائدة لها أثرها فى طريقة رسم الخرائط فى عصرها ، وما بعد عصرها هو أحمد بن سهل المعروف بأبى زيد البلخى ، صاحب كتاب (صور الأقاليم) المشتمل على خرائطه المشهورة ، المشتملة على :

١ ـ مصورات خرائط للعالم .

٢ ـ مصورات خرائط للجزيرة العربية .

٣ ـ مصورات خرائط للخليج العربى .

٤ ـ مصورات خرائط لبحر الروم ـ البحر الابيض المتوسط .

٥ ـ مصورات خرائط للمغرب .

٦ ـ مصورات خرائط لمصر .

٧ ـ مصورات خرائط للشام وسوريا .

٨ ـ مصورات خرائط وأربع عشر خريطة أخرى لاقطار من أواسط العالم الاسلامى وشرقه .

وقد أطلق المستشرق (مللر) (Miller) فى كتابه (Mappae Arabica) اسم أطلس الاسلام فى تلك الخرائط .

وتلاه عبيد الله بن خرداذبة المتوفى سنة ٣٠٠ هـ العالم الجغرافى (الجنتلمان) الذى جمع بين نشاط العالم وظرافة النديم ، فقد كان من ندماء الخليفة المعتمد العباسى ، وألف له كتبا فى الغناء والموسيقى والمنادمة ، والشراب ، والطعام ، ولكن شاءت الأقدار ألا يكون الا جغرافيا من الطراز الأول ، وضاعت جميع تلك المؤلفات ماعدا كتابه الخالد فى الجغرافيا الموسوم بـ (المسالك والممالك) ، وهو ان كان عربى المنشأ واللغة فهو بحكم أصله الفارسى يتقن الفارسية ، ويجيد اليونانية ، نستدل على ذلك من قوله : فى مقدمة كتابة (المسالك والممالك) : لقد وجدت بطليموس قد أبان الحدود واوضح الحجة ، فى وصفها بلغته الأعجمية ، فنقلتها الى اللغة الفصحى لتقف عليها .

وكتاب المسالك الموجود والمطبوع هو مختصر لأصل كتابه الكبير الجليل ، المزين بالخرائط الملونة التى هى من التراث الخالد .

فهو يقول فى مقدمة الكتاب : لقد عملت كتابى هذا بصفة أشكال الأرض ، ومقدار طولها والعرض ، ومحل البلدان ، والعامر والغامر منها فى جميع بلاد الاسلام ، بتفصيل مدنها ، وتقسيم ما انفرد بالأعمال المجموعة اليها .

لقد جعلت لكل قطعة افردتها تصويرا وشكلا ، يحكى موضع تلك الاقاليم ثم ذكر ما يحيط بها من الاماكن والبقاع ، وما فى اضعافها من المدن والاصقاع وما لها من القوانين والا تفاء - الخراج -

وكتابه عرف فى الغرب ، وعنى به غير واحد من المستشرقين ، وأول من نشره منهم المستشرق (أبا رربييه ده متيار) وترجمه (دى غوى) .

ايها السادة الافاضل :

ان المسلم ليشعر بالفخر والاعتزاز ، وهو يجول بناظريه فى مآثر الجغرافيين المسلمين ، الذين بريق اسمائهم يخطف الابصار ضياء وآثارهم العلمية تهز الاعطاف نشوة .

ومن هؤلاء الاعلام ثلاثة عاشوا فى القرن الرابع وهم :

١ ـ الاصطخرى .
٢ ـ ابن حوقل .
٣ ـ سهراب .

فالاول هو ابراهيم بن محمد الاصطخرى ، صاحب كتاب (المسالك والممالك . في الجغرافيا المشتمل على الخرائط المعروفة . قام برحلاته الى بعض اجزاء الجزيرة العربية ، ومصر ، والشام ، والعراق ، وفارس وما حولها .

التقى بزميله العالم الجغرافى ابو القاسم محمد بن حوقل سنة ٣٤٠ ـ ٩٥١ ببغداد وعرض عليه خرائط لمراجعتها .

كما ان المقدسى ـ وهو من اتباع مدرسة البلخى ـ ذكر انه استعان بعدد من الخرائط ـ في رسم خرائط كتابه (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) ومنها خرائط الاصطخرى ، ثم اشاد بها قائلا : انها (تدنو من الحقيقة وتستحق التعويل عليها ، وان كان فيها خلط وخطأ) .

وشهادات ابن حوقل والمقدسى تنفى تهمة المستشرق (دى غوى) بان خرائط الاصطخرى ليس الا نسخة من خرائط ابى زيد البلخى .

ويشرح لنا منهجه في مقدمة الكتاب بقوله :

١ ـ انه اورد فى كتابه اقاليم الارض وقصده منها مدن الاسلام ، ولم يقصد الاقاليم السبعة التى قسم الارض اليها من تقدم قبله ومن في عصره .

٢ ـ جعل لكل قطعة ـ جهة ـ مفردة مصورا يحكى وضع ذلك الاقليم .

٣ ـ ان الغرض من تأليف كتابه وخرائطه ، هو تصوير الاقاليم التى لم يذكرها احد (قبله) واعتقد ان فى قوله ما يجانف الحقيقة فقد سبقه البلخى وغيره .

٤ ـ انه اتخذ لجميع الارض التى يشتمل عليها البحر المحيط خارطة صورة ـ اذا نظر اليها الناظر علم مكان ذلك الاقليم .

ومصور الاصطخرى للعالم مأخوذ عن المخطوط العربى الموجود بمبرة (فارتر) ب (ليدن) تحت رقم ١٧٠٢ والمخطوط نسخ سنة ٥٨٩ ـ ١١٩٣ .

اما محمد بن حوقل ضريع الاصطخرى فهو اشهر من ان يعرف وهو من اهل (نصيبين) وكان مع علمه وفضله يشتغل باعمال التجارة ، وصل بغداد للمرة الاولى ، ثم رحل عنها فى رحلة تجمع بين اشتغاله بالعلم وتكسبه من التجارة ، جال خلالها العالم الاسلامى من مشرقه الى مغربه وثم عاد الى بغداد للمرة الثانية بعد رحلته الطويلة ، والتقى بالاصطخرى فيها وذلك فى ٣٤٠ هـ كما سبق الاشارة الى ذلك ـ وعرض عليه الاصطخرى خرائطه لتصحيحها ومراجعتها ، وهذا يدل على ما لابن حوقل من المكانة العلمية ، ويظهر أنه بعد تلك الرحلة ألف كتابه المعروف [المسالك والممالك] المشتمل على الخرائط المشهورة ويظهر ان اسم (المسالك والممالك) المشتمل على الخرائط المشهورة ويظهر ان اسم (المسالك والممالك) قد استهوى غير واحد من علماء الجغرافيا فسمى الكثير منهم مؤلفاتهم بهذا الاسم ومنهم :

١ ـ ابو العباس جعفر بن احمد المروزى المتوفى سنة ٣٦٨ ـ ٨٨٧ ويرى البعض انه اقدم كتاب سمى بهذا الاسم ، والبعض يرجح ان كتاب خرداذبة أقدم منها .

٢ ـ عبيد الله بن خرداذابه وكتابه موسوم بالاسم نفسه .

٣ ـ أحمد بن محمد السرخسى وكتابه موسوم بالاسم نفسه

٤ ـ الوزير ابو عبد الله الجيهانى وكتابه موسوم بالاسم نفسه وهذا الكتاب فى حكم المفقود .

٥ ـ ابراهيم بن محمد الاصطخرى وكتابه موسوم بالاسم نفسه .

٦ ـ محمد بن حوقل وكتابه موسوم بالاسم نفسه .

٧ ـ المهلبى وكتابه الموسوم بالاسم نفسه لم يبق منه حسب علمى الا مقتطفات فى معجم البلدان وفى تقويم البلدان لأبى الفداء .

٨ ـ محمد بن يوسف الوراق وكتابه موسوم بالاسم نفسه المتوفى سنة ٣٤٠ ـ ٩٧٣ .

٩ ـ البكرى وكتابه الموسوم باسمه .

١٠ ـ أبو محمد الحسن الهمدانى وكتابه الموسوم باسمه ذكر ذلك (القفطى) كما ذكره (الصفدى) .

١١ ـ أبو عبد الله الادريسى وكتابه موسوم باسمه ولم يبق من هذا الكتاب الا مختصر فى مكتبة اوغلى باستنبول واسمه الكامل روض الأنس ونزهة النفس فى المسالك والممالك .

وقد يكون هناك كتب غيرها سميت بهذا الاسم ولم تصل الى علمى ، ويذكر اى فى المسالك والممالك لابن حوقل معلومات ذات قيمة وبالاخص عن افريقيا والاندلس ، وقد أوضحت فى خرائطه المتقنة .

ومن ابرز جغرافى القرن الرابع أبو محمد الحسن بن احمد الهمدانى صاحب كتاب صفة جزيرة العرب وغيره وكتاب صفة جزيرة العرب يعد من اهم ما ألف عن الجزيرة العربية ، وكل باحث فى القديم أو الحديث الا وهو يحتاج الى هذا الكتاب القيم ، فقد مسح مسحا جغرافيا ، واجتماعيا الجزيرة العربية ، وجاب أكثرها بنفسه .

ويقول عنه المستشرق (أغناطيوس كراتشوفسكى) : لم يكن الهمدانى جغرافيا فحسب بل وخبيرا كبيرا بأنساب العرب ، وتاريخ الجزيرة ، وخاصة آثارها القديمة ، ومما يدعو الى الدهشة حقا انه استطاع فك رموز الكتابه القديمة العربية فى جنوب الجزيرة .

وفى علم الجغرافية الفلكية برز الجغرافى المعروف باسم(سهراب) صاحب كتاب (صور الاقاليم والكتاب من حيث معلومات الجغرافيا الاسلامية يشتمل على فوائد ذات قيمة علمية ومن حيث تبويبه وترتيبه فقد سار على طريقة كتاب خرائط الخوارزمى ، واهتمام ذلك المستشرق به وطبعه يعطى فكرة عن قيمة الكتاب الجغرافية .

ولم يقف النشاط على العلماء المتفرغين ، بل شارك فيه وزير عالم من وزراء الدولة السامية مع تبعته بمهام الوزارة وشئون الدولة ، هو الوزير أبو عبد الله الجيهانى ، فألف كتابه ـ الذى سبق الاشارة اليه باسم (المسالك والممالك) ورسم خرائطه بعد ما قسم الارض الى عشرين جزء وجعل كتابه شرحا وتبيانا لتلك الخرائط ، المصورة لأشكال الارض ، بل ولمواقع النجوم بالنسبة الى البلدان ، وهذا الكتاب هو مصدر مهم لكثير من المؤلفين ومنهم المقدسى . الذى يخالف من قال بتقسيمه الارض الى عشرين جزء ويقول بل جعل العالم سبعة أقاليم ، وجعل لكل اقليم كوكب .

ومن عظماء الجغرافيين المسلمين أبى عبد الله محمد بن احمد المقدسى عاش فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ، وشد ما يعجبنى فيه مع مجهوده العلمى الجغرافى الكبير التزامه

ـ كمسلم ـ بالخلق الاسلامية الرفيعة ، فهو بعد ان يوضح لنا منهجه في رحلته الطويلة وجمعه المعلومات واتصالاته بالناس فى كل اقليم دخاله وبلد وصلها دارسا منقبا مسجلا محصيا بما لم يسبقه احد قبله يقول : مع ذوق الهواء ووزن الماء ... وترك المعصية ولزوم النصح للمسلمين والمراقبة لله والخشية منه ، بعد ما رغبت النفس فى الأجر وخوفتها من الأثم . الخ ..

وهو قد جال وجال وجاب البلاد الاسلامية وجزيرة العرب ، وأورد عنها معلومات مفيدة ، وبالاخص عن جنوبها وكعادته فى التقصى ، يورد المذاهب السائدة والعملات المتداولة ، والموازين والمكاييل واللباس .

كما يفيدنا عن المكتبات العامة والخاصة فى بعض مدن الاسلام ، والخرائط الموجودة بها مثل :

١ ـ مكتبة الصاحب بن عباد ومن محتوياتها كتاب ابى زيد البلخى باشكال الارض وصورها .

٢ ـ مكتبة عضد الدولة بنيسابور ومن محتوياتها كتاب ابى زيد البلخى باشكال الارض وصورها وغيره .

٣ ـ وغير ذلك .

ويورد فى كتابه دراسة عن الجغرافيا الفلكية ، ويشير الى المصادر التى استعان بها ، وان كان يتحامل وينتقد اكثرها .

كما يشير الى مصادره من الخرائط التى استعان بها فى رسم خرائطه فيقول : واما الاشكال التى مثلناها فقد بذلنا فيها جهدنا حتى صحت بعد تأمل عدة من الصور منها :

١ ـ صورة خارطة وجدتها بخزانة ملك المشرق على كاغدة مصورة مثال .

٢ ـ صورة خارطة على كراسة عند أبى القاسم الانماطى بنيسابور مربعة ايضا .

٣ ـ صورة خارطة لأبراهيم الفارسى .

٤ ـ صورة خارطة لشيخ بـ (سرخس) .

كما يورد اشارة فى مقدمته يفهم منها انه انتهى من كتابه (أحسن التقاسيم فى معرفة

الأقاليم سنة ٣٧٥ هـ) ويفيدنا انه قسم الارض الى اربعة عشر اقليما ، وانه اقتصر على ممالك الاسلام ، وافرز اقاليم العرب وفصل كل اقليم بمصور خارطة توضح أمصاره ، وقصباته ، ومدنه ، وخطط اليها الطرق ، كما رسم خرائطه بالالوان على الوجه الآتى :

١ ـ الطرق باللون الاحمر .

٢ ـ البحار باللون الاخضر .

٣ ـ الانهار باللون الازرق .

٤ ـ الرمال باللون الذهبى .

٥ ـ الجبال باللون الأغبر .

وبلغ ما قطعه فى رحلته بحرا الفى فرسخ ، وانه دار على الجزيرة العربية من القلزم الى عبادان .

والمقدسى من كبار مشاهير الجغرافيين الفلكيين الذين عرفهم الغرب واشاد باعمالهم .

١ ـ عده المستشرق (اشبرنجر) . اعظم الجغرافيين فى كل العصور .

٢ ـ قال سبرنغر (**Sprnger**)لم يتجول سائح فى البلاد كما تجول المقدسى ، ولم يحسن ترتيب عمله أحد مثله .

٣ ـ وقال المستشرق ميستر (**Mister**) امتاز المقدسى عن سائر علماء البلدان بكثرة ملاحظاته وسعة اطلاعه .

ومن عظماء الجغرافيين المسلمين فى القرن الرابع أبو الريحانى البيرونى المولود سنة ٣٦٣ ـ ٩٧٣ صاحب كتب التفهيم المشتمل فى مخطوطاته الخمسة مصورا ـ خارطة ـ مستديرة لمواضع البحار و (القانون المسعود) والذى وان كان من كتب الفلك ، فانه يحتوى على بعض المعلومات الجغرافية القيمة ، وكتابه (الآثار الباقية) الذى اورد به بعض الطرق الهندسية لمساقط مصورات السماء والارض .

لقد قضى البيرونى عمره فى الرحلات العلمية حتى نعت فى وطنه بالغريب ، وبعد مضى

سبع وثلاثين سنة فى الاسفار عاد الى وطنه ، ثم استأنف السير فى ركب الملك المسعو الى الهند . وكان يتقن اللغات الآتية :

١ ـ العربية .

٢ ـ الخوارزمية .

٣ ـ الفارسية .

٤ ـ الهندية .

٥ ـ السريانية .

٦ ـ اليونانية .

فالبيرونى مفخرة من مفاخر علماء المسلمين .

وعلى بن عبد الرحمن بن احمد بن يونس الفلكى والجغرافى المعروف صاحب كتاب الزيج الحاكمى المشتمل على اربعة مجلدات ، صحح به أغلاط من سبقه من مصنفى الأزياج .

وقد ذكر فى زيجه خطوط الطول والعرض وفق الأقاليم السبعة .

ويقول صاحب حضارة العرب : وضع بن يونس فى القاهرة الزيج الحاكمى ، فأنسى كل زيج قبله فى العالم حتى عنى به فلكيو الصين فذكره أحدهم المدعو (كوشيو كينغ) سنة ١٢٨٠ م .

وترجم استاذ العربية فى كلية فرنسا المسيو (كوسان) سنة ١٨٠٤ بعض فصول الزيج الحاكمى الى الفرنسية .

ولابن يونس عدد من المؤلفات القيمة غير كتابه الزيج الحاكمى .

ومن مشاهير الجغرافيين المسلمين ابن عبد الله محمد الادريسى المتوفى سنة ٥٦٠ ـ ١١٦٦ ولد فى مدينة سبته وتلقى تعليمه فى جامعة قرطبة بالاندلس ، وكان خدن اسفار وجواب أفاق ، حتى استقر فى بلاط ملك صقلية روجر الثانى ، وهناك تفرغ لعمله الكبير المشتمل على واحد وسبعين مصورا ، ونقش خريطته المستديرة على دائرة من الفضة وألّف كتابه المشهور نزهة

المشتاق ليكون بمثابة الشرح والتوضيح لخرائطه الرائدة التى ظلت مرجع جغرافى الغرب زهاء ثلاثمائة سنة ، التى قضى مدة طائلة فى اعدادها ، وهى اول خريطة للعالم قريبة من اصول علم الجغرافيا وتخطيطها الفنى بالنسبة الى عصره .

حضرة الرئيس .. حضرات السادة الافاضل :

ومن الجهود المبرورة والآثار العلمية المشهورة فى علم الجغرافيا كتاب (ابن سعيد على بن موسى بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الاندلسى المولود سنة ٦١٠ ـ ١٢١٤ فى قلعة يحصب قرب غرناطة المسمى (جغرافيا الاقاليم السبعة) وهو من طراز كتاب الادريسى مقسم الى سبعة اقاليم ، وكل اقليم الى عشرة اجزاء ، ووضح خطوط الطول والعرض مما يضفى على الكتاب أهمية كبيرة ، وبه تفصيلات عن جنوب الجزيرة العربية ومدنها ، وقواعدها ، وكذا حقائق جديدة بالنسبة الى عصره عن افريقيا استفادها من رحلة بن فاطمة الذى جاب شواطىء افريقيا وغير ذلك ، ويوجد من الكتاب جزء فى مكتبة باريس تحت رقم ٢٢٣٤ ، وفى المتحف البريطانى القسم الشرقى تحت رقم ١٥٢٤ .

وذكر الزركلى فى الاعلام ج ٥ ص ١٧٩ فى ترجمته ، مؤلفاته ومنها فى الجغرافيا .

١ ـ وصف الكون .

٢ ـ بساط الأرض .

وكلاهما مخطوط .

ويأتى كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى المتوفى سنة ٦٨٢ ـ ١٢٨٣ ضمن المجهودات الجغرافية الكبيرة وان كان به حقائق جغرافية ومصور للعالم فانه يصنف فى قسم الجغرافيا الطبيعية ، أو التاريخ الطبيعى .

لقد اورد فى هذا الكتاب معلومات قيمة لأرقى ما وصل اليه العلم فى عصره ، بل ومنها ما يتجاوز عصره الى وقتنا الحاضر .

تكلم عن السماء ، ووصف الكواكب والنجوم ، والشهب ، والابراج وحركاتها ، ومداراتها ، وما يترتب على ذلك من فصول السنة ، والشهور والأيام ، والأنواء ، والعواصف .

ووصف الارض وما عليها ، ونشوءها وتكوينها ، وطبيعتها ، والغلاف الهوائى والتخلخل الجوى ، وما ينتج عنه ، واليابس من الارض .

والمغمور بماء البحر ، وما يحيط بها من البحار ، واختلاف آراء الأقدمين ومن بعدهم فى كرويتها ، ودورانها ، وتكلم عن الجاذبية .

وعن الحيوان ، والجماد ، والمعادن ، والتوالد ، والزلزال ، والانهار ، والامطار ، والرعد ، والبرق ، والظواهر الطبيعية ، واقاليم الارض ، وخواص البلاد ، وتاثير البلاد فى السكان ، والحيوان ، وفى النبات ، والحيوان ، وحاجة الانسان الاجتماعية الى احداث المدن والقرى . وخرائطه اقرب الى الاقليمية منها الى الخرائط العالمية ، وفى ما أورده عن ديار العرب معلومات شبه مفصلة . ولا تخلو من الدقة أحيانا ، وبعض الاساطير .

وجاء ابو الفداء بكتابه القيم تقويم البلدان والمحتوى على جداول الطول والعرض ، واضاف معلومات عن غير الممالك الاسلامية ، وقسم العالم الى ثمانية وعشرين اقليما .

ولقد عرف الغرب كتابه القيم لأول مرة عن طريق المستشرقين (جوليوس) و (رلسكه) والكتاب مطبوع متداول .

وابو الفدا هو امير حماه من الاسرة الأيوبية ، ولد سنة ٦٧٢ ـ ١٢٧٣ وتوفى سنة ٧٣٢ ـ ١٣٣١ بمدينة حماه بسوريا .. ولا ننسى كتاب معجم البلدان الذى جمع بين الجغرافيا الوصفية والفلكية فهو اضخم وأوفى كتاب .

وتلاه (ابن الوردى) بكتابه المعروف (خريدة العجائب والغرائب فى تقويم البلدان ـ الجغرافيا ـ وبه مصور العالم .

وقد ترجم بعض المستشرقين جملا منه ، وتوفى بن الوردى سنة ٨٦١ ـ ١٤٥٧ ، ومن بعد ذلك التاريخ ركد نشاط التاليف الجغرافى فى العالم العربى ، وان كان استأنف بعض نشاطه فى فارس وتركيا المسلمتين .

ان جهود الجغرافيين المسلمين اعظم من ان تحيط بها محاضرة وانصافا للحقيقة نورد فى ختام هذه المحاضرة بعض ما قاله المنصفون من علماء الغرب .

قال غستاف لوبون فى كتابه حضارة العرب تحت عنوان (التقدم الذى حققه العرب فى الجغرافيا) .

(كان من نتائج زيادة العرب ومعارفهم الفلكية ، ان اتفق لعلم الجغرافيا تقدم منهم ، ولا غرو فالعرب الذين اتخذوا فى البداءة علماء اليونان ، ولا سيما بطليموس ادلاء لهم فى علم الجغرافيا لم يلبثوا ان تفوقوا على اساتذهم فيه على حسب عادتهم) .

كانت مواقع المدن الكثيرة التى عينها بطليموس تعيينا جغرافيا غير مطابقة للحقيقة تماما ، وبلغ مقدار غلطه فى تعيين البحر المتوسط وحده اربعمائة فرسخ) .

ويكفى ان نقابل بين الامكنة التى عينها الاغارقة والامكنة التى عينها العرب ليظهر لنا مقدار التقدم الذى تم على يد العرب ، فهذه المقابلة تدل على ان مقدار الفرض الذى حققه العرب يقرب من الصحة بما لا يزيد على بضع دقائق ، وان الخطأ لدى الاغارقة فيه بلغ درجات كثيرة) .

(وكان تعيين الطول صعبا على العرب وذلك لما يعوزهم فى ذلك الحين من مقياس الزمن (كروتو متر) ومن تقاويم مضبوطة للقمر مغالطهم اظهر من ذلك وان لم تزد على درجتين الا نادرا ، اى وان كانت دون غلط الاغارقة بمراحل) .

(حقا ان اغاليط اليونان كانت فى تعيين الطول فاحشة فى بعض الاحيان ، ومنها غلط بطليموس ، الذى اتخذ الاسكندرية مبدأ للطول فى طول طنجة فى نحو ١٨ درجة فجعله ثلاث وخمسين درجة وثلاثين دقيقة بدلا من خمس وثلاثين درجة وواحد واربعين دقيقة) .

ومنها ان جعل بطليموس فى تقويه طول المحور الكبير للبحر المتوسط الممتد من طنجة الى طرابلس الشام تسع عشر درجة زيادة عن الحقيقة ، اى ما يعادل اربعة فراسخ تقريبا ، مع ان غلط العرب فيه اقل من درجة واحدة) .

وكتب العرب التى انتهت الينا فى علم الجغرافيا مهمة للغاية وكانت اساسا لدراسة هذا العلم فى اوروبا قرونا كثيرة .

وخريطة الادريسى التى اشتملت على منابع النيل والبحيرات الاستوائية الكبيرة لم يكتشفها الاوروبيون الا فى العصر الحاضر ، تثبت ان معارف العرب فى جغرافية افريقيا اعظم مما ظن زمنا طويلا) .

(ويحتاج احصاء أهم جغرافى العرب وما الفوا من كتب الى بيان طويل فقد ذكر ابو الفدا وحده اسماء ستين عالما جغرافيا من الذين ظهروا قبله .

(والعرب هم الذين نشروا كتبا جغرافية قامت مقام الكتب التى الفت قبلها ، فاقتصرت امم الغرب على استنساخها قرونا كثيرة) . انتهى ،

ويقول صاحب دائرة معارف (لا روس) : (اذا اراد القارىء ان يجد عجيبة من العجائب الجغرافية فلا يبحثن عنها فى اوروبا التى صارت آنذاك بربرية ، ولكن فليبحث عند العرب ، كان الخلفاء كلما أمعنوا فى الفتوح أمروا برسم الأرض التى يفتحونها .

ولو اردنا ايراد الشواهد لطال المقال ـ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مصادر البحث

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١ -	المسالك والممالك	ابن خرد اذبة
٢ -	احسن التقاسيم	المقدسى
٣	الآثار الباقية	ابو الريحان البيرونى
٤ -	البلدان	ابن الفقيه الهمدانى
٥ -	صفة جزيرة العرب	الحسن بن احمد الهمدانى
٦ -	معجم البلدان	ياقوت الحموى
٧ -	تاريخ العرب قبل الاسلام	جواد على
٨ -	تراث العالم	جواد على
٩ -	المنجد	لويس معلوف
١٠ -	ضحى الاسلام	احمد امين
١١ -	تاريخ التمدن الاسلامى	جرجى زيدان
١٢ -	دائرة معارف وجدى	فريد وجدى
١٣ -	دائرة المعارف الاسلامية	فريد وجدى
١٤ -	الفهرست لأبن النديم	ابن النديم
١٥ -	مروج الذهب	المسعودى
١٦ -	الاعلام	خير الدين الزركلى
١٧ -	مفاتيح العلوم	الخوارزمى
١٨ -	اكتشاف جزيرة العرب ترجمة	قدرى قلعجى
١٩ -	تاريخ العالم	قسم الترجمة بوزارة التربية بمصر
٢٠ -	فتوح البلدان	البلاذرى
٢١ -	حضارة العرب	جستاف لوبون
٢٢ -	تاريخ الشعوب الاسلامية	بركلمان
٢٤ -	اوراق خاصة من جمع صاحب المحاضرة	
٢٥ -	وفيات الاعيان	ابن خلكان
٢٦ -	تاريخ الطبرى	الطبرى
٢٧ -	مجلة الفيصل	

فهرســـت

فهرست بأسماء الرجال

تابع فهرست بأسماء الرجال

فهرست بأسماء الأمكنه

تابع فهرست بأسماء الأمكنه

طبع بمطابع دار البلاد للطباعة والنشر ـ جدة



محمد بن احمد العقيلى

من رواد العلم والادب فى المملكة
ـ حائز على الميدالية الذهبية بالريادة
من جامعة الملك عبد العزيز فى مؤتمر
الأدباء السعوديين

من كلمات التقريظ التى حظى بها المؤلف

١ ـ بقلم معالى الاستاذ حسين عرب :

لو ان كل من حمل قلما وحاول ان يخدم اقليمه او مسقط رأسه ، كالاستاذ العقيلى ، لاستطعنا ان نجد فى فترة يسيرة تاريخا متكاملا الحلقات لسائر هذا الوطن ، فهو يحمل على عاتقه امانة المؤرخ ، ودقة العالم ، وعمق الباحث ، ونزاهة القلم .

٢ ـ بقلم علامة الجزيرة سعادة الاستاذ حمد الجاسر :

(ما قرات بحثا او كتابا لاخى الاستاذ العقيلى الا وذكرت علامة العرب الهمدانى صاحب المؤلفات فى كل جانب من جوانب المعرفة ، وأعجب بما يتصف به الهمدانى من صبر وجلد وداب فى مواصلة الدراسة والتاليف ، فى موضوعات ندر من تصدى لها ، من اهل زمنه ، فاجد العقيلى سائرا على نهج ذلك العالم يؤلف مختلف التاليف عن النبات والتصوف واللهجات وغيرها ، بالاضافة الى مؤلفاته فى التاريخ والجغرافيا والادب والشعر) .

٣ ـ من كلمة لاستاذ الجغرافيا المعروف دكتور محمود الصياد :

اشهد انى استمتعت بكتابك « المخلاف السليمانى » ليال طويلة فلا اجد الا طريفا من البحث وعميقا من الدراسة ، وجزاك الله خير الجزاء على ما قدمت .

٤ ـ من كلمة الدكتور محمد حسن باكلا :

(شكرا جزيلا من الاعماق مع تحيات الدكتور مهدى المخزومى الذى يحيى فيك روح النشاط العلمى والعمل من اجل خدمة المجتمع علميا) ..

مطابع دار البلاد ـ جـدة